

ثانياً - من قصص الإمام مالك



لعمري لو طاوعتني لأمرت بذلك



قال مالك: قال لي أبو جعفر: قد أردت أن أجعل هذا العلم علماً واحداً، فاكتب به إلى أمراء الأجناد وإلى القضاة فيعملون به، فمن خالف ضربت عنقه، فقلت له: يا أمير المؤمنين، أو غير ذلك؟ قلت: إن النبي ﷺ كان في هذه الأمة، وكان يبعث السرايا، وكان يخرج، فلم يفتح من البلاد كثيراً حتى قبضه الله عزَّ وجلَّ، ثم قام أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعده، ففتحت البلاد على يديه، ثم قام عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعدهما ففتحت البلاد على يديه، فلم يجد بداً من أن يبعث أصحاب محمد ﷺ معلمين، فلم يزل يؤخذ عنهم كابرًا عن كابر إلى يومهم هذا، فإذا ذهبت تحولهم إلى ما لا يعرفون، رأوا ذلك كفرًا ولكن أقر أهل كل بلدة على ما فيها من العلم، وخذ هذا العلم لنفسك، فقال لي: ما أبعدت القول، اكتب هذا العلم لمحمد - يعني ابنه المهدي - وكان المنصور يريد حمل الناس على تعلم موطأ مالك وقال لمالك: لعمري لو طاوعتني لأمرت بذلك^(١).

فأين التكلم بالحق؟



قال عبد المتعال بن صالح: قيل لمالك بن أنس: إنك تدخل على السلطان وهم يظلمون ويجورون؟ قال: يرحمك الله فأين التكلم بالحق؟!

(١) «الجرح والتعديل» (ج١، ص: ٢٩).

العلم يُؤتى ولا يأتي



قال مالك بن أنس: وجه إليَّ هارون الرشيد، فسألني أن أحدثه، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن العلم يُؤتى ولا يأتي، فصار إلى منزلي، فاستند معي إلى الجدار، فقلت له: يا أمير المؤمنين، إن من إجلال الله إجلال ذي الشبهة المسلم، قال: فقام فجلس بين يدي، فقال لي بعد مدة: يا أبا عبد الله تواضعنا لعلمك فانتفعنا به، وتواضع لنا علم سفيان بن عيينة فلم ننتفع، وكان سفيان يأتيهم إلى بيوتهم فيأخذ دراهم^(١).

شاو رفي أمرك الذين يخافون الله



كتب الإمام مالك بن أنس - رحمه الله تعالى - رسالته الشهيرة إلى هارون الرشيد يعظه فيها وينصحه، وقد جاء في مقدمتها: «أما بعد.. فإني كتبت إليك لم ألك فيه رشدًا، ولم أدخر فيه نصحًا تحميدًا لله وأدبًا عن رسول الله ﷺ فتدبره بعقلك، وردد فيه بصرك وأرعه سمعك، ثم اعقله بقلبك وأحضر فهمك ولا تغين عنه ذهنك، فإن فيه الفضل في الدنيا وحسن ثواب الله في الآخرة، اذكر نفسك في غمرات الموت وكربة ما هو نازل بك منه، وما أنت موقوف عليه بعد الموت من العرض على الله سبحانه ثم الحساب، ثم الخلود بعد الحساب، وأعد الله - عز وجل - ما يُسهل عليك أهوال تلك المشاهد وكربها، فإنك لو رأيت سخط الله تعالى، وما صار الناس إليه من ألوان العذاب، وشدة نقمته عليهم، وسمعت زفيرهم في النار وشهيقهم، مع كلوح وجوههم، وطول

(١) «صلاح الأمة» (ج٣، ص: ١٣٤).

غمهم، وتقلبهم في دركاتهما على وجوههم، ولا يسمعون ولا يبصرون، ويدعون بالويل والثبور.

وأعظم بحسرة إعراض الله عنهم وانقطاع رجائهم وإجابته إياهم بعد طول الغم بقوله: ﴿اَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾ (المؤمنون: ١٠٨)، ثم قال له: لا تأمن على شيء من أمرك من لا يخاف الله، فإنه بلغني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «شاور في أمرك الذين يخافون الله»، احذر بطانة السوء وأهل الردى على نفسك، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من نبي ولا خليفة إلا وله بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خبالاً»^(١)، ثم قال: لا تجر ثيابك، فإن الله لا يحب ذلك، فقد بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من جر ثيابه خيلاء، لم ينظر الله إليه يوم القيامة»^(٢)، اطع الله في معصية الناس، ولا تطع الناس في معصية الله، فقد بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^{(٣) (٤)}.

بهذا صار مالك مالكا



قال مالك بن أنس: لو أن منادياً ينادي بباب المسجد: ليخرج شركم رجلاً، والله ما كان أحد يسبقني إلى الباب إلا رجلاً بفضل قوة أو سعي، قال: فلما بلغ ابن المبارك قوله، قال: بهذا صار مالك مالكا.

(١) وبنحوه معناه، رواه مسلم (٥٠).

(٢) رواه البخاري (٣٦٦٥)، (٥٧٨٤).

(٣) حديث صحيح «رياض الصالحين» بشرح العثيمين - طبعة دار السلام - حديث رقم (١٩٥/ش).

(٤) «صلاح الأمة» (ج٣، ص: ١٣٥).

رأيت الناس عليه



قال خدّاش بن خالد: رأيت على مالك طيلساناً طرازياً وقلنسوة وثياباً مروية جياداً وفي بيته وسائد وأصحابه عليها قعود فقلت له: يا أبا عبد الله الذي أرى شيئاً حدثته أم وجدت الناس عليه؟ قال: رأيت الناس عليه.

الإمام مالك وهيئة أهل العلم



قال الزبيري: كان مالك يلبس الثياب العدنية الجياد والخراسانية والمصرية المرتفعة البيض، ويتطيب بطيب جيد، ويقول: ما أحب لأحد أنعم الله عليه إلا ويرى أثر نعمته عليه وخاصة أهل العلم.

الإمام مالك والعقيق



قال ابن بكير: «مولد مالك بذى المروة وكان ينزل أولاً بالعقيق ثم نزل المدينة، وقيل لمالك: لم تنزل العقيق فإنه يشق عليك إلى المسجد، فقال: بلغني أن النبي ﷺ كان يحبه ويأتيه وأن بعض الأنصار أراد القفلة منه إلى قرب المسجد، فقال له النبي ﷺ: «أما تحسبون خطاكم»^(١)»^(٢).



(١) المحفوظ «دياركم بني سلمة تكتب آثاركم، وهو في البخاري.

(٢) «ترتيب المدارك» (ج١، ص: ١١٥).

لا يقال له: من أين قلت ذا؟



قال أبو مصعب: كانوا يزدحمون على باب مالك حتى يقتلوا من الزحام، وكنا إذا كنا عنده لا يلتفت ذا إلى ذا، قائلون برؤوسهم هكذا، وكانت السلاطين تهابه، وكان يقول: لا، ونعم، ولا يقال له: من أين قلت ذا؟

ما شرابك يا أبا عبد الله؟



قال ابن أبي حازم: قلت لمالك: ما شرابك يا أبا عبد الله؟ قال: في الصيف السكر وفي الشتاء العسل، وكان مالك يعجبه الموز ويقول: لم يمسه ذباب ولا يد أسود، ولا شيء أشبه بثمر الجنة منه، لا نطلبه في شتاء ولا صيف إلا ووجدته، قال الله تعالى: ﴿أَكْلَهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ (الرعد: ٣٥).

فعلمت بذلك ولا أعلم أحوال رعيتي



ووعظ مالك مرة أبا جعفر المنصور في افتقار الرعية فقال له: أليس إذا بكت ابتكت من الجوع تأمر بحجر الرحا فيحرك كي لا يسمع الجيران بكاءها؟ فقال مالك: والله ما علم بهذا إلا الله، فقال له: فعلمت بهذا ولا أعلم أحوال رعيتي؟!

قصة عقل أبي علي الثقفي مع الإمام مالك



قال أبو فهر المصري: كان أبو بكر بن إسحاق إذا ذكر عقل أبي علي الثقفي يقول: ذلك عقل مأخوذ من الصحابة والتابعين، وذلك أن أبا علي أقام بسمرقند أربع سنين يأخذ تلك الشمائل من محمد بن نصر المروزي، وأخذها ابن نصر

عن يحيى بن يحيى، فلم يكن بخراسان أعقل منه، وأخذها يحيى عن مالك أقام عليه لأخذها سنة بعد أن فرغ من سماعه.

وأنت عافاك الله



قال زهير بن عباد: ما كنت أقول لمالك: رحمك الله إلا قال: وأنت رحمك الله، وإذا قلت له: عافاك الله، قال: وأنت عافاك الله، حسن أدب^(١).

قصة أدب الإمام مالك



قال عبد الله بن عبد الحكم: هيا مالك بن أنس دعوة للطلبة وكنت فيهم فمضينا معه إلى داره، فلما دخلنا الدار، قال: هذا المستراح وهذا الماء، ثم دخلنا البيت فلم يدخل معنا، ودخل بعد ذلك فأتانا بالطعام ولم يأت بالماء قبله لغسل أيدينا، ثم أتى به بعده، فلما خرج الناس سأله عما رأيت قال: أما إعلامي لكم بالمستراح والماء: فإنما دعوتكم لأبركم، ولعل أحدكم يصيبه بول أو غيره فلا يدري أين يذهب فيصل إليه الضرر، وأما تركي الدخول معكم في البيت فلعلي أقول: ها هنا أبا فلان اجلس، وها هنا أبا فلان اجلس، وقد أنس بعضكم فيظن ذلك نقصاً فيه فتركتكم حتى أخذتم مجالسكم ودخلت عليكم، وأما تركي الماء قبل الطعام فإن الوضوء قبله من سنة الأعاجم، وأما بعده فقد جاء في ذلك حديث.

(١) «ترتيب المدارك» (ج١، ص: ١١٧-١١٨).

أنا ساكن فيه منذ كذا ما رأيته



قال الشافعي: سئل مالك عن الصورة في البيت قال: لا ينبغي، فقال له رجل عراقي: يا أبا عبد الله هو ذا في بيتك صورة! قال: أنا ساكن فيه منذ كذا ما رأيته، ثم فحكهها، فأخذ قناه فلف عليها خرقة ثم حكها.

ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله



قال مطرف: كان مالك إذا دخل بيته قال: ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله، فسئل عن ذلك فقال: قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (الكهف: ٣٩)، وجنته بيته، وقيل: إن ذلك كان على باب مالك مكتوب ليتذكر برؤيته قول ذلك متى دخل.

اذهب فاكتب الآن



قال مالك: قلت لأمي: اذهب فاكتب العلم؟ فقالت: تعالى فالبس ثياب العلم، فالبستني ثياب مشمرة ووضعت الطويلة على رأسي وعممتني فوقها ثم قالت: اذهب فاكتب الآن^(١).

اذهب فتعلم من أدبه قبل علمه



قال مالك: كانت أمي تعممني وتقول لي: اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه، قال ابن القاسم: أفضى بمالك طلب العلم إلى أن نقض سقف بيته فباع خشبه، ثم مالت عليه الدنيا.

(١) «ترتيب المدارك» (ج١، ص: ١١٨-١١٩).

يا بُنيّه إنه يحفظ حديث رسول الله ﷺ



قال أنس بن عياض: جالست ربيعة ومالك يومئذ معنا وما يعرف إلا بمالك أخو النضر ثم زال حرصه في طلب العلم حتى صرنا نقول النضر أخو مالك وكان مالك حين طلبه يتبع ظلال الشجر ليتفرغ لما يريد فقالت أخته لأبيه: هذا أخي لا يأوى مع الناس، قال: يا بنيّه إنه يحفظ حديث رسول الله ﷺ.

... دعيه فذلك عالم الناس



قال مالك: كان لي أخ في سن ابن شهاب فألقى أبي يوماً علينا مسألة فأصاب أخي وأخطأت فقال لي أبي: ألتهك الحمام عن طلب العلم فغضبت وانقطعت إلى ابن هرمز سبع سنين وكنت أجعل في كفي تمرّاً وأناوله صبيانه وأقول لهم: إن سألكم أحد عن الشيخ فقولوا: مشغول، وقال ابن هرمز يوماً لجاريتته: مَنْ بالباب؟ فلم ترَ إلا مالكا، فرجعت فقالت له: ما ثم إلا ذاك الأشقر فقال لها: دعيه فذلك عالم الناس.

قصة الإمام مالك مع الزهري



قال مالك: كنا نأتي ابن شهاب في داره في بني الريل وكانت له عتبة حسنة كنا نجلس عليها نتدافع إذا دخلنا عليه، وقال مالك: كنا نجلس إلى الزهري ومحمد بن المنكدر فيقول ابن الزهري: قال ابن عمر كذا وكذا فإذا كان بعد ذلك جلسنا إليه وقلنا له: الذي ذكرت عن ابن عمر من حدثك به فيقول: ابنه سالم! ^(١).

(١) «ترتيب المدارك» (ج١، ص: ١٢٠).

قصة الإمام مالك مع نافع مولى ابن عمر



قال مالك: كنت آتي نافعاً مولى ابن عمر وأنا يومئذ غلام ومعي غلام لي وينزل إلي من درجة له فيقعنني معه فيحدثني، وقال: كنت آتي نافعاً نصف النهار وما تظلني الشجر من الشمس إلى خروجه، فإذا خرج أدعه ساعة كأنني لم أرده ثم أتعرض له فأسلم عليه وأدعه حتى إذا دخل البلاط أقول له: كيف قال ابن عمر في كذا وكذا؟ فيجيبني ثم أكتب عنه وكان فيه حدة.

قصة الزهري مع ربيعة



قال مالك: قدم علينا الزهري فأتيناه ومعنا ربيعة فحدثنا نيفاً وأربعين حديثاً ثم أتيناه الغد فقال: انظروا كتاباً حتى أحدثكم منه، أرأيتم ما حدثكم به أمس أفي شيء في أيديكم منه؟، فقال له ربيعة: ها هنا من يرد عليك ما حدثت به أمس فقال: ومن هو؟ قال: ابن أبي عامر، قال: هات فحدثه بأربعين حديثاً منها، فقال الزهري: ما كنت أرى بقي من يحفظ هذا غيري.

قم فانت من أوعية العلم



قال مالك: شهدت العيد فقلت: هذا اليوم يخلو فيه ابن شهاب، فانصرفت من المصلى حتى جلست على بابه فسمعتة يقول لجارته: انظري من على الباب، فنظرت فسمعتها تقول: مولاك الأشقر مالك، قال: أدخله، فدخلت، فقال: ما أراك انصرفت بعد إلى منزلك؟ قلت: لا، قال: هل أكلت شيئاً؟ قلت: لا، قال: فاطعم، قلت: لا حاجة لي فيه، قال: فما تريد؟ قلت: تحدثني، فحدثني

سبعة عشر حديثاً ثم قال: وما ينفعك إن حدثتك ولا تحفظها! قلت: إن شئت رددتها عليك، وفي رواية قال لي: هات فأخرجت ألواحي فحدثني بأربعين حديثاً، فقلت: زدني، قال: حسبك إن كنت رويت هذه الأحاديث فأنت من الحفاظ قلت: قد رويتها، فجبذ الألواح من يدي ثم قال: حدث، فحدثته بها فردها إلي وقال: قم فأنت من أوعية العلم^(١).

كرهت أن أكتب حديث رسول الله ﷺ وأنا قائم



قال عبد العزيز بن عبد الله: سئل مالك أسمع من عمرو بن دينار، فقال: رأيته يحدث والناس قيام يكتبون فكرهت أن أكتب حديث رسول الله ﷺ وأنا قائم.

قصة الإمام مالك مع أبي الزناد



قال الزبير: مر مالك بأبي الزناد وهو يحدث فلم يجلس إليه، فلقيه بعد ذلك فقال له: ما منعك أن تجلس إلي؟ قال: كان الموضع ضيقاً فلم أرد أن آخذ حديث رسول الله ﷺ وأنا قائم.

هذا الشأن يحتاج إلى رجل معه تقى وورع وصيانة واتقان وعلم وفهم



قال مالك: أدركت بهذه البلدة أقواماً لو استسقى بهم القطر لسقوا، قد سمعوا العلم والحديث كثيراً، ما حدثت عن أحد منهم شيئاً لأنهم كانوا ألزموا أنفسهم خوف الله والزهد، وهذا الشأن يعني: الحديث والفتيا يحتاج إلى رجل معه تقى

(١) القاضي عياض «ترتيب المدارك» (ج١، ص: ١٢١-١٢٢).

وورع وصيانة وإتقان وعلم وفهم، فيعلم ما يخرج من رأسه وما يصل إليه غداً فأما رجل بلا إتقان ولا معرفة فلا ينتفع به ولا هو حجة ولا يؤخذ عنهم.

قصة الإمام مالك مع عطاء



وقيل لمالك: لِمَ لا تكتب عن عطاء قال: أردت أن آخذ عنه وأردت أن انظر إلى سمته وأمره فاتبعته، أتى منبر النبي ﷺ فمسح الغاشية والدرجة السفلى، يعني من المنبر، فلم أكتب عنه إذ ذاك من فعل العامة، والدرجة السفلى والغاشية شيء أصلحه بنو أمية، فلما رأيته لا يفرق بين منبر النبي ولا غيره ويفعل فعل العامة تركته.

قصة الإمام مالك مع أيوب السختياني



قال مالك: رأيت أيوب السختياني بمكة حجتين فما كتبت عنه، ورأيت في الثالثة قاعداً في فناء زمزم، فكان إذا ذكر النبي عنده يبكي حتى أرحمه، فلما رأيت ذلك كتبت عنه^(١).

ما تقول فيها يا أبا عثمان؟



قال سفيان بن عيينة: دارت مسألة في مجلس ربيعة، فتكلم فيها ربيعة، فقال مالك: ما تقول فيها يا أبا عثمان؟ قال ربيعة: أقول فلا تقول، وأقول إذ لا تقول، وأقول فلا تفقه ما أقول، ومالك ساكت فلم يجب بشيء وانصرفت،

(١) القاضي عياض «ترتيب المدارك» (ج١، ص: ١٢٣-١٢٤).

فلما راح إلى الظهر جلس وحده وجلس إليه القوم، فلما صلى المغرب اجتمع إلى مالك خمسون أو أكثر، فلما كان من الغد اجتمع إليه خلق كثير، قال: جلس للناس وهو ابن سبع عشرة سنة وعرفت له الإمامة وبالناس حياة إذ ذاك.

لا خير فيمن يرى نفسه في حالة لا يراه الناس لها أهلاً



قال ابن وهب: قال لنا مالك يوماً: دعاني الأمير في الحداثة أن أحضر المجلس فتأخرت حتى راح ربيعة فأعلمته وقلت: لم أحضر حتى جئت أستشيرك، فقال ربيعة: نعم، قال ابن وهب: فقلت: لو لم يقل لك احضر لم تحضر، ثم قال: يا أبا محمد لا خير فيمن يرى نفسه في حالة لا يراه الناس لها أهلاً.

ما جلست حتى شهد لي سبعون شيخاً من أهل العلم أنني موضع لذلك



قال مالك: لما حضرت مع ربيعة عند السلطان رأيت الكراهية في وجهه، فقلت له لما خرجنا: إن كنت تكره لم أحضر إنما تعلمنا منك، قال: فلا أكره أن يحضر معنا من أنت أفقه منه، قال مالك: ليس كل من أحب أن يجلس في المسجد للحديث والفتيا حتى يشاور فيه أهل الصلاح والفضل وأهل الجهة من المسجد، فإن رأوه لذلك أهلاً جلس، وما جلست حتى شهد لي سبعون شيخاً من أهل العلم أنني موضع لذلك.

جسرت على أن تفتي يا أبا عبد الرحمن؟



قال ابن وهب: جاء رجل يسأل مالكا عن مسألة، فبادر ابن القاسم فأفتاه فأقفل عليه مالك كالغضب وقال له: جسرت على أن تفتي يا أبا عبد الرحمن؟

يكررها عليه، ما أشتيت حتى سألت: هل أنا للفتيا موضع؟ فلما سكن غضبه قيل له: من سألت؟ قال: الزهري وربيعة الرأي، قال مالك: وربيعة إذا سأله الرجل فلم يفهم عنه يقول له: سل هذا، فأقول للسائل إنما ينهاك عن كذا^(١).

ما ترى يا مالك؟



قال ابن بكير وغيره: أول ما بان من فقه مالك أن رجلاً أوصى عند وفاته قد زوج ابنتيه من ابني أخيه وقد أخذ مهورهما ومات الرجل فأحضر الوالي، وكان الحسن بن يزيد والناس، وفيهم ابن أبي ذئب وابن عمران وابن أبي سبرة ومالك وهو حدث وذكر المسألة، فقال جميعهم: ذلك جائز - ومالك ساكت - فقال: ما ترى يا مالك؟ قال: ذلك لا يجوز، فغضب الجميع، وقال ابن أبي ذئب: لا يشاء أن يرد علينا إلا رد، فقال الوالي: أصاب وأخطأتم، ثم قال: من أين قلت يا أبا عبد الله هذا؟ قال: رأيتم إن هديتنا جميعاً إلى زوجيهما فتعلق كل واحد منهما بهودج واحدة، كل واحد يقول: هي زوجتي دون الأخرى، لمن تقضون بها؟ فسكت القوم، قالوا: أصاب، قال: فما ترى يا أبا عبد الله؟ قال: النكاح مفسوخ حتى تسمى كل امرأة لرجل معين.

فانصرف الناس وقد بان فضل علمه



وقال ابن الماجشون: مما عُلِمَ به مالك أن سارقاً أخذ ومعه قمح وقد سرقه من تَلَاكَيْس بهذا وهذا، حتى اجتمع قمح كثير فاعترف بذلك فأحضر الوالي مَنْ

(١) القاضي عياض «ترتيب المدارك» (ج١، ص: ١٢٦-١٢٧).

بالمدينة وفيهم ربيعة ويحيى بن سعيد ومعهم مالك على حداثة سنه لمعرفتهم بعلمه، فلما أخذوا مجالسهم سألهم الوالي عن المسألة، وأخرج القمح فإذا شبيه، فكلهم رأى أن عليه القطع ومالك ساكت، فقال له: تكلم، قال: لا قطع عليه، فاستعظم ذلك مَنْ هناك، وسألوه من أين قاله؟ فقال لهم: هل يجب القطع إلا في ربع دينار فصاعداً؟ فأما أن يسرق من هذا التليس ما يساوي درهماً ومن هذا ما يساوي درهماً هكذا، فهذا لا قطع عليه، فانصرف الناس وقد بان فضل علمه.

اتق الله يا مالك إذا كنت مالك وإلا فأنت هالك



قال أبو المحاسن المطالبي: سأل مالكا صفوان بن سليم وهو أحد شيوخ مالك الجلة الفضلاء النقاد عن رؤيا رآها في النوم ومالك إذ ذاك غلام صغير السن فقال له: ومثلك يسأل مثلي؟ فقال له: وما عليك يا ابن أخي، رأيت كأنني أنظر في مرآة، فقال له مالك: أنت تنظر في أمر آخرتك وما يقربك إلى ربك، فقال له صفوان: أنت اليوم مويلك ولئن بقيت لتكون مالكا، اتق الله يا مالك إذا كنت مالك وإلا فأنت هالك، قال مالك: وكان قبل يدعوني مويلك، فلما سألتني قال: يا أبا عبد الله، وهو أول يوم كنانني فيه.

الإمام مالك ووصية ابن هرمز



قال الحرث: أوصى ابن هرمز مالكا وعبد العزيز بن أبي سلمة: إذا دخلتما على السلطان فكونا آخر من يتكلم، فلزم مالك وصيته فبلغني أنه حضر عند الأمير مع ابن أبي ذئب ونظرائه فاستفتاهم في رجل أقر على نفسه بالقتل عمداً

فأفتى كلهم بالقتل إلا أن يعفو الأولياء، ومالك ساكت، فسأله فقال: انظر وهو مطرق، ثم سأله فقال: هو القتل حتى أنظر، فقالوا: ما تنظر رجل أقر أنه قتل عمداً أي شيء هذا؟ فقال: أين القاتل المقر؟ فإذا فتى حدث السن، فقال: منذ كم حبس؟ قيل: منذ كذا، فإذا حبسه وإقراره قبل أن يحتلم، فسرّح.

طبقات الإمام مالك



قال أحمد بن صالح: كان مالك في ثلاث طبقات، طبقة دونه وأخرى معه وأخرى فوقه، ولم يكن في الثلاث طبقات مثله من يجيد الطلب، فاق الثلاث طبقات، فالتى فوقه من ولد في الثمانين، ابن عجلان وابن أبي ذئب ونمطهم، والتي معه عبد العزيز بن الماجشون وأبي الزناد وسليمان بن بلال وغيرهم، والذين دونهم ابن الدراوردي وابن أبي حازم وأنس وعياض.

ما ندري منهم إلا أربعة



قال ابن القاسم: قال لي مالك: كنا نجلس إلى ربيعة أربعين معتماً سوى من لا يعتم ما ندري منهم إلا أربعة، أما أحدهم فغلبت عليه الملوك يعني ابن الماجشون وفي رواية شغل بالاغاليط أو نحو هذا، وأما الآخر فمات يعني: كثير ابن فرقد، وأما الثالث فغرب نفسه يعني: عبد الرحمن بن عطاء، وسكت عن الرابع، فعلمنا أنه يعني نفسه^(١).



(١) «ترتيب المدارك» (ج١، ص: ١٢٨-١٢٩).

إن نجب منهم فالأشقر



وقيل لأبي حنيفة: كيف رأيت غلمان المدينة؟ قال: إن نجب منهم فالأشقر الأزرق، يعني مالك: وفي رواية: رأيت بها علماً مبثوثاً فإن يجمعه أحد فالغلام الأبيض الأحمر، قال ابن غانم: فذكرت ذلك للملك، فقال: صدق، لقيته فرأيت رجلاً له علم وفهم لو بنى على أصل، يعني: أثر أهل المدينة.

من السفلة يا مالك؟



قال ابن أبي أويس: قال مالك: أقبل علي ذات يوم ربيعة فقال لي: من السفلة يا مالك؟ قلت: الذي يأكل بدينه، فقال لي: فمن سفلة السفلة؟ قلت: الذي يأكل غيره بدينه، فقال: زه وصدرني.

ما بين المالكية والأحناف



قال الشافعي: ذكرت محمد بن الحسين يوماً فقال لي: صاحبنا أعلم - يعني: أبا حنيفة - من صاحبكم؟ - يعني: مالكا - فقلت له: الإنصاف تريد أم المكابرة؟ قال: الإنصاف، قلت له: نشدتك بالله الذي لا إله إلا هو من أعلم بكتاب الله وناسخه ومنسوخه؟ قال: اللهم صاحبكم، قلت له: فمن أعلم بسنة رسول الله ﷺ؟ قال: اللهم صاحبكم، قلت: فمن بأقوال أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: اللهم صاحبكم، قلت: فلم يبق إلا القياس قال: صاحبنا أقيس، قلت: القياس لا يكون إلا على هذه الأشياء فعلى أي شيء يقيس ونحن ندعي لصاحبنا ما لا تدعونه لصاحبكم.



إنه فقيه يا مصري



قال الليث: لقيت مالكا بالمدينة، فقلت له: إني أراك تمسح العرق عن جبينك، قال: عزفت مع أبي حنيفة، إنه لفقيه يا مصري، ثم لقيت أبا حنيفة فقلت: ما أحسن قول ذلك الرجل فيك، فقال: والله ما رأيت أسرع منه بجواب صادق وزهد تام^(١).

فكأنما نبي نطق على لسانه



قال مطرف: كان مالك إذا سئل عن مسألة نزلت فكأنما نبي نطق على لسانه.

أحمد بن حنبل والإمام مالك



قال ابن حنبل: مالك أتبع من سفيان، وسئل عن الثوري ومالك إذا اختلفا في الرواية، وفي طريق أيهما أفقه؟ فقال: مالك أكبر في قلبي، قيل له: فمالك والأوزاعي إذا اختلفا في الرواية، قال: مالك أحب إليَّ وإن كان الأوزاعي إمام، قيل: فمالك والليث؟ قال: مالك، قيل: فمالك والحكم وحماد، قيل: مالك والنخعي؟ قال: ضعه مع أهل زمانه، وقال: مالك سيد من سادات أهل العلم، وهو إمام في الحديث والفقه، ومن مثل مالك متبع لآثار من مضى؟ مع عقل وأدب، قيل له: الرجل يحب أن يحفظ حديث رجل بعينه حديث من ترى يحفظ؟ قال: حديث مالك، فإنه حجة بينك وبين الله، وقال أيضاً: يرحم الله مالكا كان من الإسلام بمكان.

(١) «ترتيب المدارك» (ج١، ص: ١٣١).

... ومالك وعبد العزيز ينظران فيه



وقيل لابن هرمز: نسألك فلا تجيبنا ويسألك مالك وعبد العزيز فتجيبهما، فقال: دخل علي في بدني ضعف ولا آمن أن يكون قد دخل علي في عقلي مثل ذلك، وأنتم إذا سألتموني عن الشيء فأجبتكم قبلتموه ومالك وعبد العزيز ينظران فيه، فإن كان صواباً قبلاه، وإن كان غير ذلك تركاه.

مرسلات مالك



قال يحيى بن سعيد القطان: وذكرت من مرسلات السفينيين والشعبي والأعمش وغيرهم فقال: في بعضها شبه الريح وشبه لا شيء، قيل: فمرسلات مالك؟ قال: هي أحب إليّ، ليس في القوم أصح حديثاً منه، وقدمه في أصحاب الزهري قال: ومالك عن سعيد أحب إليّ من سفيان عن إبراهيم^(١).

تقول: دع مالك!



قال الحسن بن علي: كنا عند وهيب بن خالد فحدث بحديث عن مالك وابن جريج، فقلت لرجل: اكتب ابن جريج ودع مالك؛ لأنه كان صياح فسمعها وهيب فقال: تقول: دع مالك! ما نعلم بين شريقها وغربها أحداً آمن عندنا من مالك على حديث.





ارجعوا بنا إلى قول مالك



قال مطروح بن شاكر: جلس ابن شهاب وربيعه ومالك فألقى ابن شهاب مسألة فأجاب فيها ربيعة وصمت مالك، فقال ابن شهاب: لِمَ لا تجب؟ قال: قد أجاب الأستاذ أو نحوه، فقال ابن شهاب: ما نفترق حتى تجيب، فأجاب بخلاف جواب ربيعة، فقال ابن شهاب: ارجعوا بنا إلى قول مالك.

دعوني فإن الحجازي نهاني عنه



قال الدرورادي: بينما أنا جالس مع يحيى بن سعيد الأنصاري وهشام بن عروة إذ سمعت أحدهما يقول للآخر: كم ذا يكون هذا الرجل بين أظهرنا أفلا نأتيه نسمع منه أو نأخذ عنه؟ فقلت في نفسي: إن هذا رجل ذهب هذان في الأخذ عنه لأجل أن لا أجهله، فقاما وقمت معهم، فأتيا باب مالك واستأذنا عليه فلم نلبث أن سمعنا وقع الوسائد وأذن لهما فدخلنا عليه فدخلت معهما، فقالا: يا أبا عبد الله حدثنا عن ابن شهاب وكان سفيان الثوري إذا سُئل عن شاذ الحديث قال: دعوه فإن الحجازي نهاني عنه يعني: مالكاً.

فرأيت الناس قد خرجوا من المسجد يتبعون أين مالك!



قال يحيى: قال الشافعي: أفطرت بالمدينة عند مالك فخرج إلى العيد وصلى وانصرف ونظر إلى الناس عند بيت النبي ﷺ وهو على باب المسجد، فقال: ما لهم؟ قال: انصرفوا يسلمون على النبي ﷺ فرجع إلى الحظيرة التي يطعم

فيها المساكين في رمضان ورك أن يدخل المسجد، فرأيت الناس قد خرجوا من المسجد يتبعون أين مالك؟^(١).

قصة اقتداء الناس بالإمام مالك في الاستسقاء



قال ابن أبي أويس: حضرت الاستسقاء فلما حول الإمام رداءه قام مالك يحول ساجًا عليه، فقام الناس فحولوا أرديتهم، فلما انصرف مالك، قيل له: أمن سنة الاستسقاء إذا حول الإمام أن يقوم الناس يحولوا أرديتهم؟ قال: ليس عليهم قيام ويحولون قعودًا، وإنما قمت لأن ساجي كان تحتي فلم أقدر على تحويله حتى قمت.

قصة الإمام مالك مع ابن كنانة



قال ابن كنانة: قال العمري لمالك: بايعني أهل الحرمين وأنت ترى ظلم أبي جعفر: فقال له مالك: تدري ما الذي منع عمر بن عبد العزيز أن يولي رجلاً صالحاً بعده؟ قال: لا، قال: كانت البيعة ليزيد فخاف عمر بن عبد العزيز إن بايع لغيره أن يقيم يزيد الهيج، ويتقاتل الناس فيفسد ما لا يصلح، فاحتمل العمري عن رأي مالك.

صورة طواف الإمام مالك



قال سفيان: كان مالك سراجًا، حج الشوري فطفت معه فلم يكن معه كثير أحد وقدم مالك فطاف فضاك الطواف بالناس لكثرتهم.

(١) «ترتيب المدارك» (ج١، ص: ١٣٨-١٣٩).



إن مالكاً روى عنك



لما روى مالك عن يزيد بن عبد الله بن عبد الهادي رحل إلى يزيد قريب من ألف راحلة، فلما أصبح يزيد نظر إلى كثرة من وقف على بابه قال: ما هذا؟ قيل له: إن مالكا روى عنك.

صورة ما يحضر الإمام مالك من جنازة



قال داود بن مهرا: لما أتيت المدينة حضرت جنازة فلم يبق أحد من بني هاشم وقريش والناس إلا حضرها، فلما خرجت الجنازة قام مالك وقام الناس لقيامه فمضى ماشياً بين يديها، فما رأيت أحداً خلف الجنازة ومالك أمامهم^(١).

مالك سيدنا وعالمنا



قال ابن وهب: سألت عبد العزيز بن الماجشون عن مسألة فقال: ما يحضرني فيها جواب، ولكن سل مالكا وأخبرني بما يقول: فسألته وأخبرته: فقال: مالك سيدنا وعالمنا.

بقول مالك أقول. وأميل مع مالك حيث مال



وذكر عبد العزيز الماجشون مسألة اختلف فيها قول أبيه وقول مالك فقال: وبقول مالك أقول وأميل مع مالك حيث مال فإنه كان موقفاً.

ما هذه الأشياء التي تبغني عنكم تخالفون فيها أهل المدينة؟



قال خالد بن نزار: زار مسلم بن خالد مالكا فقال له مالك: يا مسلم ما هذه الأشياء التي تبغني عنكم تخالفون فيها أهل المدينة؟ قال: يا أبا عبد الله أصلحك الله إني قد جمعت أشياء أريد أن أسألك عنها، قال مالك: هات، أما إني أحب أن يرشدكم الله ولكنني أكره أن تخالفوا أهل المدينة إلى غيرهم.

وجعلت مالك حجة بيني وبين الله



قال محمد بن الحكم: كان الشافعي إذا سئل عن شيء يقول: هذا قول الأستاذ يعني مالكا وقال فيه مالك أستاذي ومالك معلمي وعنه أخذنا العلم، وما أحد أمن علي من مالك وإنما أنا غلام من غلمان مالك، وجعلت مالك حجة بيني وبين الله.

رجل من أهل المدينة من الأنصار ويروي عنه ولا يعرفه مالك؟



وسئل مالك عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري الذي يحدث عنه ابن سمعان فقال: ما أعرفه، فقال الناس: رجل من أهل المدينة من الأنصار ويروي عنه ولا يعرفه مالك؟ فاتهمه الناس، فقال علي بن المديني: إذا حدث مالك عن رجل من أهل المدينة ولا تعرفه فهو حجة لأنه كان ينتقي^(١).

(١) القاضي عياض «ترتيب المدارك» (ج١، ص: ١٤٠-١٤١).

إي والله



وحكى بعض من أَلَف في مناقبه أن ابن هرمز مر بدار بعض ذوي الأقدار وهو واقف مع مولاة له، فقال ابن هرمز: يا هذا إنك على الطريق وليس يحل لك هذا، فقال: هذه داري ومولاتي وحشمي، فما ينكر على مثلي، وقال لعبيده: طأوا بطنه فوطئوه حتى حمل إلى منزله، فعاده الناس وفيهم مالك فجعل يشكو والناس يدعون له، ومالك ساكت ثم تكلم فقال: إن هذا لم يكن لك، تأتي الرجل من أهل القدر على باب داره معه حشمه ومواليه، فقال ابن هرمز: فترى أنني أخطأت؟ قال: إي والله.

أنا أمرتهم بذلك



ولما قدم حماد بن زيد المدينة لم يأت أحد من أصحاب مالك فراح حماد فشكى ذلك إليه، فقال: أنا أمرتهم بذلك، فقال: ولم يا أبا عبد الله؟ قال: لأنكم يا أهل العراق تكتبون بالمدينة عمن لا شهادة له عندنا، فيتوهم عليكم أنكم تفعلون هكذا في بلادكم، فرجع حماد فأسقط عامة علمه.

قصة الإمام مالك مع سحنون



قال سحنون: جاء وافد أهل مصر بسؤلاتهم لربيعة فوجدوه قد مات، قال: فلم أرد أن أرجع بغير جواب، فرأيت في المسجد حلقة يخوضون في العلم فجلست إليهم وأخبرتهم أمري وقلت لهم: إن كان لكم أجبيوني أو فأرشدوني، فأشار علي جميعهم إلى مالك بن أنس وهو يومئذ شاب جالس إلى عمود وحده ولم أدع حلقة إلا جلست إليها، وسألتهم فكلهم يدلني عليه، فأتيته فأخبرته



بخبري وبما دلني القوم عليه، وذكر أنه سأله فكلما قرأ عليه مسألة بكى، ثم أجابه، قال سحنون: بكى حين عرفها وعرف أنه احتيج إليه فيها.

أخبر الذي أرسلك أنه لا علم لي بها



قال ابن مهدي: سأل رجل مالكا عن مسألة وذكر أنه أرسل فيها من سير ستة أشهر من المغرب، فقال له: أخبر الذي أرسلك أنه لا علم لي بها، قال: من يعلمها؟ قال: من علمه الله.

فمن أحق أن يكون كذا إلا من كان هكذا؟!



قال عبد الرحمن العمري: قال لي مالك: ربما وردت علي المسألة تمنعني من الطعام والشراب والنوم، فقلت: يا أبا عبد الله ما كلامك عند الناس إلا كنقش في حجر، ما تقول شيئاً إلا تلقوه منك، قال: فمن أحق أن يكون كذا إلا من كان هكذا؟! فرأيت في النوم قائلاً يقول: مالك معصوم.

قصة الإمام مالك مع السائل



قال ابن عبد الحكم: كان مالك إذا سئل مسألة قال للسائل: انصرف حتى أنظر فيها فينصرف ويترد فيها، فقلنا له في ذلك، فبكى وقال: إني أخاف أن يكون لي من السائل يوم وأي يوم، وكان مالك إذا جلس نكس رأسه ويحرك شفثيه بذكر الله ولم يلتفت يميناً ولا شمالاً فإذا سئل عن مسألة تغير لونه وكان أحمر بصفرة فيصفر وينكس رأسه ويحرك شفثيه ثم يقول: ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله.



قصة الإمام مالك مع المغربي



وسأله رجل عن مسألة استودعه إياها أهل المغرب فقال: ما أدري ما ابتلينا بهذه المسألة في بلدنا ولا سمعنا أحداً من أشياخنا تكلم بها ولكن تعود، فلما كان من الغد جاءه وقد حمل ثقله على بغلة يقودها، فقال: مسألتي، فقال: ما أدري ما هي! فقال الرجل: يا أبا عبد الله تركت خلفي من يقول: ليس على وجه الأرض أعلم منك، فقال مالك غير مستوحش: إذا رجعت فأخبرهم أني لا أحسن.

ويحك أتريد أن تجعلني حجة بينك وبين الله؟



وسأله آخر فقال: يا أبا عبد الله أجبني، فقال: ويحك أتريد أن تجعلني حجة بينك وبين الله؟ فأحتاج أنا أولاً أن انظر كيف خلاصي ثم أخلصك^(١).

الإمام مالك وقول لا أدري



وقال مالك: سمعت ابن هرmez يقول: ينبغي أن يورث العالم جلساءه قول لا أدري حتى يكون ذلك أصلاً في أيديهم يفزعون إليه، فإذا سئل أحدهم عما لا يدري قال: لا أدري، قال عمر بن عبد العزيز: فقلت لمالك في ذلك فقال: يرجع أهل الشام إلى شامهم وأهل العراق إلى عراقهم وأهل مصر إلى مصرهم ثم لعلني أرجع عما أفيتهم به.

(١) «ترتيب المدارك» (ج١، ص: ١٤٦).

سلو أهل العلم؟



قال مصعب: وجهني أبي بمسألة ومعني صاحبها إلى مالك يقصها عليه فقال: فما أحسن فيها جواباً سلو أهل العلم!

ويحك ما عرفتنني؟ ومن أنا؟!



وكان الرجل يسأله المسألة فيقول: العلم أوسع من هذا، وقال بعضهم: إذا قلت أنت يا أبا عبد الله ما أدري فمن يدري؟! قال: ويحك ما عرفتنني؟ ومن أنا؟ وأي شيء منزلتي حتى أدري ما لا تدرون.

إنها مسألة خفيفة سهلة



وقال مصعب: سئل مالك عن مسألة فقال: لا أدري، فقال له السائل: إنها مسألة خفيفة سهلة، وإنما أردت أن أعلم بها الأمير، وكان السائل ذا قدر، فغضب مالك وقال: مسألة خفيفة سهلة ليس في العلم شيء خفيف أما سمعت قول الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (الزمل: ٥)، فالعلم كله ثقیل وبخاصة ما يسأل عنه يوم القيامة.

ما أعلمها أنا فكيف يعلمونها؟!



وقال له ابن القاسم: ليس بعد أهل المدينة أعلم بالبيوع من أهل مصر، فقال مالك: ومن أين علموها؟ قال: منك، قال مالك: ما أعلمها أنا فكيف يعلمونها؟!

... أرجو أن يكون خفيفاً



وسئل مالك عن الأحاديث يقدم فيها ويؤخر والمعنى واحد، فقال: أما ما كان من لفظ النبي ﷺ فلا ينبغي أن يقوله إلا كما جاء، وأما لفظ غيره فإذا كان المعنى واحداً فلا بأس به، فقل: حديث النبي ﷺ مزايد فيه الواو والألف والمعنى واحد، قال: أرجو أن يكون خفيفاً.

... إذا حدثت الناس بكل ما سمعت إني إذا لأحمق



قال الشافعي: قيل لمالك: عند ابن عينة أحاديث ليست عندك، فقال: إذا حدثت الناس بكل ما سمعت إني إذا لأحمق، وفي رواية: إني أريد أن أضلهم إذاً، ولقد خرجت مني أحاديث لوددت أني ضربت بكل حديث منها سوطاً ولم أحدث بها، وإن كنت أفزع الناس من السياط.

لا تكتبها



قال معن: سمعت مالكا يقول: إنما أنا بشر أخطئ وأرجع وكل ما أقول يكتب، قال أشهب: ورأني أكتب جوابه في مسألة فقال: لا تكتبها، فإني لا أدري أثبت عليها أم لا.

حسبكم من أكثر أخطأ



قال ابن وهب: وسمعتُه عندما يكثر عليه بالسؤال يكف ويقول: حسبكم من أكثر أخطأ وكان يعيب كثرة ذلك وقال: يتكلم كأنه جمل مقتلم ويقول: هو كذا هو كذا يهدر في كل شيء.



سل عما يكون ودع ما لا يكون



وسأله رجل عراقي عن رجل وطئ دجاجة ميتة فخرجت منها بيضة فأفقسست البيضة عنده عن فرخ أياكله؟ فقال مالك: سل عما يكون ودع ما لا يكون. وسأله آخر عن نحو هذا فلم يجبه، فقال: لم لا تجبني؟ فقال: لو سألت عما تنتفع به أجبتك.

أنت المتهاون بعلم مالك؟



وسأله رجل عن مسألة من أهل المدينة الجواب فيها، فرده ثم عاد فرده ثلاثاً فكأنه تهاون بعلم مالك فاتاه آتٍ في نومه يقول له: أنت المتهاون بعلم مالك؟ ائنه فاسأله فلو كانت مسألتك أدق من الشعر وأصلب من الصخر لوفق فيها باستعانتك بما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

...ومن أحق بالبكاء مني!



قال القعنبى: دخلت على مالك فوجدته باكياً فسألته عن ذلك فقال: ومن أحق بالبكاء مني! لا أتكلم بكلمة إلا كتبت بالأقلام وحملت إلى الآفاق وما تكلمت برأي إلا في ثلاث مسائل.

الإمام مالك وحديث النبي ﷺ



قال مطرف: كان مالك إذا أتاه الناس خرجت إليهم الجارية فتقول لهم: يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أم المسائل؟ فإن قالوا: المسائل خرج إليهم



فأتاهم وإن قالوا: الحديث، قال لهم: اجلسوا ودخل مغتسله فاغتسل وتطيب ولبس ثياباً جددًا ولبس ساجة وتعمم ووضع على رأسه طويلة وتلقى له المنصة فيخرج إليهم وقد لبس وتطيب وعليه الخشوع ويوضع عود فلا يزال يبخر حتى يفرغ من حديث رسول الله ﷺ .

مجلس الإمام مالك



قال يحيى: كنا نجتمع على باب مالك فإذا توافينا صرخ الأذن ليدخل أهل المدينة ثم ليؤذن لغيرهم فيدخل ويسلم عليه ويسكت ونسكت ساعة، فإذا رأى ازدحامنا قال: توقروا فإنه عون لكم وليعرف صغيركم حق كبيركم، ومن رواية أخرى: كان إذنه لنا رفع سطر في أسطوانة فندخل عليه وهو قاعد قد ميل رأسه حتى إذا أخذ الناس مجالسهم رفع رأسه فقال: السلام عليكم إنما كان يفعل ذلك لثلا يقرب بعض الناس على بعض من العلوية أو العثمانية أو غيرهم فينتقد عليه ذلك، قال ابن قعنب: ما رأيت قط أشد وقارًا من مجلس مالك لكان الطير على رؤوسهم.

إني أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ



قال ابن أويس: كان مالك إذا جلس للحديث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة، ثم حدث فقل له في ذلك فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ ولا أحدث به إلا على طهارة متمكنًا، وكان يكره أن يحدث في طريق قائمًا ومستعجلًا وقال: أحب أن أفهم حديث رسول الله ﷺ .

قصة الإمام مالك مع العقرب



قال عبد الله بن المبارك: وكنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ستة عشر مرة ومالك يتغير لونه ويصبر ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس قلت: يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجباً، قال: إنما صبرت إجلالاً لحديث رسول الله ﷺ.

قصة الإمام مالك مع الوزغ



قال يحيى بن يحيى الأندلسي: كنت جالساً عند مالك فوقعت على رأسه وزغتان فمرتتا على قلنسوته ثم دننا إلى عنقه دخلتا تحت طوقه حتى خرجتا من تحت ثيابه وما نفضهما وما حل صفوته.

من طلب هذا الأمر صبر عليه



قال مصعب الزبيري: كان حبيب يقرأ على مالك وأنا على يمينه وأخي عن شماله وهو أقرب إلى مالك وكان أسن مني، وكان حبيب يقرأ لنا عشية من ورقتين إلى ورقتين ونصف ولا يبلغ ثلاثاً والناس ناحية لا يدنون ولا ينظرون فإذا خرجنا جاءنا الناس فعارضوا كتبهم بكتبنا، قال: وجئنا يوماً إلى أبينا بالعرضة لنقيم عنده ونسير بالعشي إلى مالك فأصابتنا السماء بالمطر يوماً فلم نأته تلك العشية ولم ينتظرنا وعرض عليه الناس فأتيناه بالغد فقلنا: يا أبا عبد الله أصابتنا أمس سماء منعتنا عن حضور العرض، فرد علينا قائلاً: لا، من طلب هذا الأمر صبر عليه^(١).

(١) «ترتيب المدارك» (ج١، ص: ١٥٦).

إنما هي مجالس العلم السابق إليها أحق بها



قال جعفر بن إبراهيم: كلم صديق لأبي مالك أن أسمع منه فأذن فكنت أختلف إليه وأنا مدل بنسبي من رسول الله ﷺ وموضعي، فأتخطى الناس إلى وساد مالك فلا يتزحزح ويريني أنه لم يدنيني احتقاراً لي، فشكوت ذلك إلى أبي وغيره فبعثوا إليه يسألونه إكرامي وأثرتي فقال للرسول: ما هو عندنا وغيره إلا سواء، إنما هي - عافاك الله - مجالس العلم السابق إليها أحق بها، فكنت آتي وقد أهدق الناس فما يوسع لي فاستدني حيث وجدت.

الذي فعلتم بالأمس فعل السفهاء



قال عبد الرازق: بينما نحن في المسجد الحرام فقيل لنا: هذا مالك فلقيناه داخلًا من باب بني هاشم وعليه رداء وقميص صنعاني فطاف بالبيت وخرج ناحية الصفا وصلى ركعتين، فلما فرغ احتوشناه كما يصنع أصحاب الحديث فلما جلسنا قام من بيننا كالمغضب فجئنا مشايخنا، أي شيء كتبتم عن مالك فأخبرناهم بالذي فعل، فقالوا: الذي فعلتموه لا يحتمله مالك، فلما كان الغد جئنا واحدًا واحدًا وعلينا السكون فحدثنا وقال: الذي فعلتم بالأمس فعل السفهاء.

العلم أجل من ذلك



قال خالد بن نزار: سألت مالكًا عن شيء وكان متكئًا فقال: حدثني يحيى ابن سعيد عن سعيد بن المسيب ثم استوى جالسًا وتجلل بكساء فقال: أستغفر الله فقلت له في ذلك، فقال: إن العلم أجل من ذلك ما حدثت عن رسول الله ﷺ وأنا متكئ.



مثل هذا فليعرض



قال ابن بكير: قام رجل إلى مالك فقال له: أعرض؟ قال: نعم، قال: أحدثكم ابن شهاب عن سالم؟ فقال له مالك: أنت ثقیل، يقوم غير هذا، فقام آخر فقال: حدثكم ابن شهاب، بلا استفهام فقال مالك: أحسنت، مثل هذا فليعرض.

قد علمت أن الله ما رفعك باطلا!



حكى الزبير عن عمه مصعب وغير واحد أن هارون الرشيد لما حج أتى مالكا فاستأذن عليه حاجبه ثم أذن له، وفي رواية بعضهم: ثم خرج إليه، فلما دخل قال: يا أبا عبد الله ما حملك على أن أبطأت وقد علمت مكاني، وفي رواية حبستنا على بابك؟ قال: والله يا أمير المؤمنين ما زدت على أن توضأت وعلمت أنك لا تأتي إلا لحديث رسول الله ﷺ فأحببت أن أتأهب له، فقال: قد علمت أن الله ما رفعك باطلا! وأخذه بيده فمضى إلى قبر النبي ﷺ فقال: أخبرني عن مكان أبي بكر وعمر من النبي ﷺ فقال: محلهما منه في حياته كمحلهما منه بعد وفاته.

قد فعلت يا أبا عبد الله



قال هشام بن عيسى: لما قدم هارون المدينة دعا مالكا، فقال مالك: منكم خرج هذا العلم وأولى الناس بإعظامه، ومن إعظامكم له ألا تدعوا حملته إلى أبوابكم، قال: قد فعلت يا أبا عبد الله.

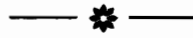


يا امير المؤمنين: العلم اهل ان يوقرو ويؤتى



لما حج الخليفة المهدي فدخل المدينة فسار إليه مالك وأظهر من بره وإعظامه وأمر ابنه موسى وهارون أن يسمعا منه فبعثوا إليه فلم يصل إليهم وأعلموا المهدي فبعث إليه لم لم تأتهم؟ فقال: يا أمير المؤمنين العلم أهل أن يوقر ويؤتى، قال: صدق سيروا إليه، فلما حضروه قالوا: اقرأ علينا، قال: إن هذا البلد إنما يُقرأ فيه على العالم كما يقرأ الغلام على المعلم فإذا أخطأ أصلحه، فانصرفوا عنه وأعلموا المهدي فبعث إليه، فقال: امتنعت أن تصير إليهم فصاروا إليك فامتنعت أن تقرأ عليهم، قال: يا أمير المؤمنين سمعت ابن شهاب يقول: جمعنا هذا العلم من رجال في الروضة وهم سعيد بن المسيب وأبو سلمة وعروة والقاسم وسالم وخارجة وسليمان ونافع ثم نقل عنهم ابن هرمز وأبو الزناد ربيعة والأنصار وبحر العلم ابن شهاب وكل هؤلاء يُقرأ عليهم ولا يقرأون على أحد، قال المهدي: اذهبوا فاقرأوا ففي هؤلاء قدوة، فكان مؤدبهم يقرأ عليهم.

يا وغد إليك حُمِلت؟!



قال بعضهم: قدم الرشيد المدينة ومالك عليل فبعث إليه أن يأتيه ليسأله مسألة فقال: أنا عليل، فقال: لا بد من لقائك ووجه إليه محفة وحمله على أيدي الخدم فلما دخل قام إليه الفضل بن الربيع فسأله عن مسألة فقال مالك: يا وغد إليك حُمِلت؟! لأخبرن أمير المؤمنين فأكب عليه الفضل يقبله ويستعطفه فلما دخل الرشيد سأله عما أراد.



تواضعنا لعلمك فانتفعنا به



لما قدم هارون الرشيد المدينة وجه إلى مالك وزيره جعفر البرمكي وقال له: قل له: أحمل الكتاب الذي صنفته حتى أسمع منه فوجد من ذلك مالك واغتم وقال للبرمكي: اقرئه السلام وقل له: العلم يزار ولا يزور وإن العلم يؤتى ولا يأتي، فرجع البرمكي إلى هارون فأخبره بذلك فغضب، وأشار عامة أصحاب مالك أن يأتي هارون الرشيد، وقال البرمكي للرشيد: يبلغ أهل العراق أنك وجهت إلى مالك فخالفك، أعزم عليه حتى يأتيك فإذا بمالك قد دخل فسلم وليس معه كتاب، فقال له هارون في ذلك فقال مالك: إن الله تعالى بعث إلينا محمداً ﷺ وأمر بطاعته واتباع سنته وأن نرعاه حياً وميتاً وقد جعلك في هذا الموضع لعلمك فلا تكن أول من ضيع العلم فيضيعك الله، الله الله لقد رأيت من ليس هو في حسبك ولا نسبك من الموالي وغيرهم يُعزُّ هذا العلم، ويجله ويوقره حملته، فأنت أخرى أن تجل علم ابن عمك، ولم يزل يعدد عليه حتى بكى، قال هارون: قم بنا إلى منزلك، فأتى هارون منزل مالك فدخل مالك واغتسل ولبس ثياباً جددًا وتطيب ووضع مجامير فيها عود بخور وجلس فقال: هات، فقال هارون: تقرأ علي فقال: ما قرأت على أحد منذ زمان، قال: فأخرج عني الناس حتى أقرأه عليك فقال مالك: إن العلم إذا منع من العامة لأجل الخاصة لم تنتفع به الخاصة، قال: فأمر بعض أصحابه يقرأه عليه، فكان هارون قد استند إلى جنب مالك فلما بدأ يقرأ له قال: يا أمير المؤمنين من تواضع لله رفعه، فقام فقعد بين يديه فحدثه، فلما فرغ عاد إلى مكانه، قال مالك: لما كان بعد مدة قال لي الرشيد: تواضعنا لعلمك فانتفعنا به وتواضع لنا علم سفيان بن عيينة فلم نتفع به، وكان يأتيهم فيحدثهم.

عمك مالك بن أنس أين يجلس



كان رجل من قريش ينتقص مالكا ويقول: بأي شيء هو أكبر منا؟ فلما قدم هارون الرشيد وجلس الناس، قالوا له: هذا هارون ومالك يدخل وأنت تدخل فافعل ما فعل، وأرسلوا معه من ينظر فتقدم مالك فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، عمك مالك بن أنس أين يجلس؟ قال: هاهنا تجلس، وأقبل الرجل خلفه فقبل يدي هارون، فقال هارون لمالك: إن رأيت أن تأتي ولديك فتحدثهم يعني ابني هارون قال: فما رد عليه مالك شيئا حتى خلا من عنده، فتحول إليه فقال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تكون أول من أجرى على يديك ذل العلم: قال: وما ذاك؟ قال: أدركت أهل العلم يؤتون ولا يأتون، فقال: أصبت بل يأتوك، وخرج مالك، فقال هارون: هذا الذي تلومونني فيه ما رأيت رجلاً أعقل منه، قلت له أنفا فلم يرد على شيء كراهية أن يخرج منه شيء في ذلك الجمع فلما خلوت خرج لي عما في نفسي، مروا له بكذا وكذا جائزة، فكانوا يقولون للقرشي: كيف ترى؟ فيقول: ذلك رجل معصوم.

كنت في عيني أجل من هذا



قال ابن مهدي: مشيت مع مالك يوماً إلى العقيق من المسجد فسألته عن حديث فانتهرني، فالتفت إلي وقال لي: كنت في عيني أجل من هذا، أنسألني عن حديث رسول الله ﷺ ونحن نغشي، فقلت: إنا لله ما أراني إلا وقد سقطت من عينه، فلما قعد في مجلسه بعدت منه فقال: إذن ها هنا فدنوت فقال: قد ظننت أنا أدبناك تسألني عن حديث رسول الله ﷺ ونحن نغشي، سل عما تريد ها هنا.



القاضي أحق أن يؤدّب



قال أبو مصعب: وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فأمر بحبسه، ف قيل له: إنه قاضي، فقال: القاضي أحق أن يؤدّب فحبس إلى الغد.

مثل هذا طلب العلم



ولما حج هاشم بن جريح وهو حدث أتى مالك بن أنس وقد رحل الناس بورقتين من حديث، فقال له: اقرأ هذه الأحاديث فقد مضى الناس، فقال مالك: ينتظر أحدكم حتى إذا رحل الناس جاء فقال: اقرأ لي فقد رحل الناس، فالتفت هاشم إلى مالك فقال: أصلحك الله إن تكن حاجة أو أمر تأمر به انتهيت إلى طاعتك ووقفت عند أمرك وفرحت بذلك في نادي قومي، وسدت به على عشيرتي أستودعك الله، فإن طاعتك فرض وقولك حكم استودعك الله، قال مالك: مثل هذا طلب العلم، ردّوه، فبعث في طلبه فأتى به فقرأ له ثم انصرف.

أفي الصلاة نحن فلا نتكلم؟



قال الحسن بن الربيع: كنت على باب مالك فنأدى مناديه: ليدخل أهل الحجاز فما دخل إلا هم، ثم نادى في أهل الشام، ثم في أهل العراق، فكنت آخر من دخل وفينا حماد بن أبي حنيفة فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، قال: فأومأ الناس إليه بأيديهم أن اسكت، فقال: أفي صلاة نحن فلا نتكلم؟ فسمعت مالكا يقول: أستخير الله مرتين ثم قال: أخبرنا نافع فحدثنا بعشرين حديثا ثم قال: أخرجوهم فأخذتنا المقارع.



قصة الشافعي ومالك



قال الشافعي: استأذنت على مالك وكنت أريد أن أسمع منه حديث السقيفة فقلت: إن جعلته أولاً خشيت أن يستطيله ولم يحدثني وإن جعلته آخرًا خشيت أن لا أبلغه فجعلته بعد عشرة أحاديث، فأخذت أسأله فلما مرت عشرة، قال: حسبك، فلم أسمع.

يا غلام خذ بيده فاذهب به إلى السجن



قال بشر بن آدم: سأل الأغضب مالكا عن مسألة ثم عن أخرى فأجابه، ثم عن أخرى فلم يجبه، فقال له: هو لم؟ فقال مالك: يا غلام خذ بيده فاذهب به إلى السجن، قال: إني قاضي أمير المؤمنين، قال: ذلك أهون لك، قال: لا أعود، قال: خل سبيله.

قصة الإمام مالك مع ابن المبارك



قال ابن حارث: دخل ابن المبارك وأصحابه على مالك فقالوا: يا أبا عبد الله حدثنا ولا تحدثنا إلا بحديث الزهري فقال مالك: يؤخذ بأيديهم ويقاموا عني، فقام القوم، فلما كان من الغد قال ابن المبارك لأصحابه: إن مالك بن أنس لا يضره أن ألا تسمعوا منه شيئاً، فعودوا إلى الرجل، فدخلوا عليه فلما أخذوا مجالسهم اعتبرهم وحدثهم من حديث الزهري كما أرادوا.





ولتعرّفنهم في لحن القول، لا تعد إليّ



قال ابن مهدي: لما أراد يحيى بن أبي زائدة الحج كلم عبد الله بن إدريس أن يكتب له كتاباً إلى المدينة ليسمع منه وكانت بينهما مودة ففعل، وكان يسمع إذا جاءه يوماً رجل فقال: يا أبا عبد الله ما تقول في رجل أوصى لعبده بمائة درهم؟ فقال مالك: الوصية جائزة، فقال له يحيى: يوصي بماله لماله؟ فنظر مالك إلى من عنده فقال: ولتعرّفنهم في لحن القول لا تعد إليّ.

هيبة الإمام مالك



قال ابن الماجشون: دخلت على أمير المؤمنين المهدي، فما كان بيني وبينه إلا خادمة، فما هبته هيّتي مالكا. وقال سعيد بن أبي هند: ما هبت أحداً هيّتي عبد الرحمن بن معاوية - يريد ملك الأندلس - حتى حججت فدخلت على مالك فهبته هيبة شديدة صغرت هيبة ابن معاوية.

قصة الإمام مالك مع السائل عن الخنثى



قال ابن وهب: قدمت المدينة فسألني الناس أن أسأل مالك عن الخنثى وقد اجتمعوا إليه، وكنت أنا الذي أسأل لهم، فهبت أن أسأله وهابه كل من في المجلس أن يسأله^(١).

(١) القاضي عياض «ترتيب المدارك» (ج١، ص: ١٦٧).

قصة الإمام مالك مع الحسن بن محمد



قال الشافعي: كان محمد بن الحسن إذا حدث بالعراق عن مالك امتلاً منزله حتى يضيق بهم الموضع، وإذا حدثهم عن غيره من شيوخ الكوفة لم يجبه إلا اليسير فكان يقول: ما أعلم أحداً أسوأ ثناءً منكم على أصحابكم.

كيف حظى بك مالك ولم تحظ أنت بنفسك؟



قال بكير بن الشroud: أتينا مالك بن أنس فجعل يحدثنا عن ربيعة ونحن نستزيده من حديثه، فقال لنا ذات يوم: ما تصنعون بربيعة وهو قائم في ذلك الطاق، فأتينا ربيعة فأنبهناه وقلنا: أنت ربيعة الذي يحدث عنك مالك؟ قال: نعم، قلنا: كيف حظى بك مالك ولم تحظ أنت بنفسك؟ فقال: أما علمتم أن مثقالاً من دولة خير من حمل علم.

قصة الإمام مالك مع العراقي السائل



قال إسماعيل بن يعقوب السهمي: كنت مع مالك بن أنس جالساً يوماً عند بروز أهل الموسم فجلس إليه رجل عراقي فسأله عن مسألة فأجاب، ثم سأله مرة أخرى فأجاب، ثم سأله فأبى أن يجيب، فقال: لقد أنفقت وجئت هذا الوجه وأنا مسترشد فأرشدني، فقال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «لا إيمان لمن لا حياء له»^(١)، فقال العراقي: وأنا قد بلغني أن النبي ﷺ قال: «إذا كشف وجه الرجل رق دينه»^(٢)، فوثب إليه جماعة من جلساء مالك فترعوا عمامته وطرحوها في رقبته وخنقوه بها.

(١) صحيح بلفظ: «... والحياء شعبة من الإيمان، متفق عليه.

(٢) الحديث ضعيف، وراجع «السلسلة الصحيحة» للألباني.

قصة الإمام مالك مع المريض



قال أشهب: عاد مالك محمد بن علي من علة فصارت له بعيادة مالك وجهة في الناس.

قصة الإمام مالك مع يونس بن تميم



قال يونس بن تميم: قدمت المدينة سنة ستين ومائة فأتيت مالكا فلما نظرت إليه هبته ولم أتقدم إليه، ورأيت الناس يهابونه فأقمت أتردد عشرة أيام فشكوت ذلك لأهل المدينة فقبل لي: أعط كاتبه يسأل لك عما أجبت وأما أنت فلا أحسب تنهيا لك مسألته لأنه أهيب من ذلك في صدور الناس.

والله ما قال لي أحسن الله جزاك



قال بعض الحسينين: كنت مقيما عند أهلي أيام دخولي بها فأتاني مالك وأنا مع أهلي في الحجلة فاستأذن فكرهت أن أجلسه في الباب إلى أن أباعد أهلي، فخرجت من الحجلة وأرخيت الستر على وجه زوجتي فقعدت بين يدي الحجلة فأذنت له فدخل وجلس، ثم قال: إن الأمير قد حبس غلامي أخذه العسس فامض إليه حتى يطلقه، فهبت أن أخبره بموضع زوجتي أو أرجعه فتركته جالسا وخرجت إلى الأمير فأطلق غلامه وجئت به فلما رأي مالك أخذ بيده الغلام تلقاني وانتزع الغلام وخرج يتوكأ عليه، والله ما قال لي أحسن الله جزاك.





امض بنا إلى مالك يعزينا



قال عبد الله العباسي: كان أهل المدينة إذا مات لهم ميت يقولون: امضوا بنا إلى مالك يعزينا.

إنما أنتم حرب



قال الزهري: رأيت مالكا وقوماً يتجادلون عنده فقام ونفض رداءه وقال: إنما أنتم حرب.

قصة الإمام مالك والسائل عن العرش



قال سفيان بن عيينة: سأل رجل مالكا فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه: ٥)، كيف استوى يا أبا عبد الله؟ فسكت مالك ملياً حتى علاه الرخصاء وما رأينا مالكا وجد من شيء وجده من مقالته، وجعل الناس ينتظرون ما يأمر به، ثم سُرّي عنه، فقال: الاستواء معلوم، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب، وإنني لأظنك خبالاً، أخرجوه عني، فناداه الرجل: يا أبا عبد الله والله الذي لا إله إلا هو لقد سألت عن هذه المسألة أهل البصرة والكوفة والعراق فلم أجد أحداً وفق لما وفقت له.

خذنا صاحب هذا الثوب فاحبساه



قال أبو مصعب: قدم علينا ابن مهدي فصلى ووضع رداءه بين يدي الصف فلما سلم الإمام رفعه الناس بأبصارهم ورمقوا مالكا، وكان قد صلى خلف.

الإمام، فلما سلم قال: مَنْ هَا هُنَا مِنَ الْحِرَاسِ؟ فجاءه نفسان فقال: خذا صاحب هذا الثوب فاحبساه فحبس، فقبل له: ابن مهدي، فوجه إليه وقال له: أما خفت الله واتقيته أن وضعت ثوبك بين يديك في الصف وأشغلت وأشغلت المصلين بالنظر إليه، وأحدثت في مسجدنا شيئاً ما كنا نعرفه وقد قال النبي ﷺ: «من أحدث في مسجدنا حادثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»^(١)، فبكى ابن مهدي وآلى على نفسه أن لا يقعد ذلك أبداً في مسجد النبي ﷺ ولا في غيره.

عليك بما تعرف واترك ما لا تعرف



وسأل رجل مالكا عن الشيء من علم الباطن، فغضب وقال: علم الباطن لا يعرفه إلا من عرف علم الظاهر، فمتى عرف علم الظاهر وعمل به فتح الله عليه علم الباطن، ولا يكن ذلك إلا مع فتح قلبه وتنويره، ثم قال للرجل: عليك بالدين المحض، وإياك وبنيات الطريق، وعليك بما تعرف، واترك ما لا تعرف.

فاذهب إلى مثلك فخاصمه



قال ابن وهب: سمعت مالكا يقول إذا جاءه بعض أهل الأهواء: أما أنا فعلى بيته من ربي، وأما أنت فشاك فاذهب إلى مثلك فخاصمه، ثم قرأ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ (يوسف: ١٠٨).

(١) الحديث صحيح متفق عليه، راجع بيان فضل المدينة المنورة ومكانتها في كتاب «وقفات تربوية مع السيرة النبوية» للشيخ أحمد فريد - حفظه الله -.

الإمام مالك وأهل السنة



وسأل رجل مالكا: مَنْ أهل السنة يا أبا عبد الله؟ قال: الذين ليس لهم لقب يعرفون به، لا جهمي ولا رافضي ولا قدري^(١).

أفتري موسى سأل ربه محالاً؟!



قال ابن نافع: قلت: يا أبا عبد الله ﴿وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿القيامة: ٢٢-٢٣﴾، ينظرون إلى الله، قال: نعم بأعينهم هاتين، فقلت له: فإن قوماً يقولون: لا ينظر إلى الله، إِنَّ نَاطِرَةً بِمَعْنَى: منتظرة إلى الشواب، قال: كذبوا بل ينظر إلى الله، أما سمعت قول موسى ﷺ: ﴿رَبِّ ارْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ﴾ (الاعراف: ١٤٣)، أفتري موسى سأل ربه محالاً؟ فقال الله: لن تراني في الدنيا لأنها دار فناء ولا ينظر ما بقى بما فنى، فإذا صاروا إلى دار البقاء نظروا بما بقى إلى ما بقى، وقال الله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين: ١٥).

قال: زنديق فاقتلوه



وجاء رجل إلى مالك فقال له: يا أبا عبد الله، ما تقول فيمن يقول: إن القرآن مخلوق؟ قال: زنديق فاقتلوه، فقال: يا أبا عبد الله ليس هو كلامي، إنما هو كلام سمعته، قال: لم أسمعه إلا منك.

(١) «ترتيب المدارك» (ج١، ص: ١٧٢).

قصة الإمام مالك مع الطالب



قال أشهب: كنا عند مالك إذ وقف عليه رجل من العلويين وكانوا يقبلون على مجلسه فناده: يا أبا عبد الله، فأشرف له مالك ولم يكن إذ ناداه أحد يجيبه أكثر من أن يشرف برأسه، فقال له الطالب: إني أريد أن أجعلك حجة فيما بيني وبين الله، إذا قدمت عليه فسألني، قلت: مالك قال لي، فقال له: قل، قال: مَنْ خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قال العلوي: ثم من؟ قال مالك: ثم عمر، قال العلوي: ثم مَنْ؟ قال: الخليفة المقتول عثمان، قال العلوي: والله لا أجالسك أبداً، قال له مالك: الخيار لك.

قصة الإمام مالك مع من سب الصحابة



قال مصعب الزبيري: دخل هارون الرشيد المسجد فركع ثم أتى قبر النبي ﷺ ثم أتى مجلس مالك فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال مالك: وعليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، ثم قال لمالك: هل لمن سب أصحاب رسول الله ﷺ في الفبيء حق؟ قال: لا ولا كرامة، قال: من أين قلت ذلك؟ قال: قال الله: ﴿لَيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ (الفتح: ٢٩)، فمن عابهم فهو كافر ولا حق للكافر في الفبيء.

قصة الإمام مالك مع المغربي السائل



قال إسحاق بن عيسى: رأيت رجلاً من أهل المغرب جاء مالك بن أنس فقال: إن الأهواء كثرت قبلنا فجعلت على نفسي أن آتيك إن أنا رأيتك آخذ بما

تأمرني، فوصف له مالك شرائع الإسلام؛ الصلاة والزكاة والحج والصوم، ثم قال: خذُ بها ولا تخاصم أحداً.

الإمام مالك والقدرية



قال ابن وهب: سئل مالك عن أهل القدر أيكف عن كلامهم؟ قال: نعم، إذا كان عارفاً بما هو عليه، ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر ويخبرهم بخلافهم ولا يواضعوا القول ولا يصلي عليهم ولا تشهد جنازتهم ولا أرى أن يناكحوا ولا يصلي خلفهم وإن وافقتموهم في ثغر فاخرجوهم منه.

الإمامان مالك وأبو حنيفة



قال الفروي: سمعت أبا حنيفة يقول لمالك: إن لنا رأياً نعرضه عليك فإن رأيته حسناً مضيناً عليه وإن رأيته سيئاً تنكبنا عنه، لا نكفر أحداً بذنب، المذنبون كلهم مسلمون، قال: ما أرى بها بأساً.

قصة الإمام مالك مع سورة التكاثر



قال المغيرة: خرجت ليلة بعد أن جمع الناس هجعة فمررت بمالك بن أنس فإذا أنا به قائم يصلي فلما فرغ من الحمد لله ابتداً بالهاكم التكاثر، حتى بلغ لتسألن يومئذ عن النعيم، فبكى بكاءً طويلاً، وجعل يردددها ويبيكي وشغلني ما سمعت ورأيت منه عن حاجتي التي خرجت إليها، فلم أزل قائماً وهو يردددها ويبيكي حتى طلع الفجر، فلما تبين له ركع فصرت إلى منزلي فتوضأت فاتيت المسجد فإذا به في مجلسه والناس حوله فلما أصبح نظرت فإذا أنا بوجهه قد علاه نور حسن.

ضحك الإمام مالك



قال بشر بن عمر: كان مالك لا يضحك فقليل له في ذلك، فقال: الضحك يدعو إلى السفه وقد بلغني أن ضحك النبي ﷺ تبسم.

حال الإمام مالك عند ذكر النبي ﷺ



قال مصعب بن عبد الله: كان مالك إذا ذكر النبي ﷺ عنده تغير لونه وانحنى حتى يصعب ذلك على جلسائه، فقليل له في ذلك يوماً، فقال: لو رأيتم لما أنكرتم على ما ترون، كنت آتي محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث إلا بكى حتى نرحمه ولقد أتى جعفر بن محمد وكان كثير المزاح والتبسم فإذا ذكر النبي ﷺ عنده اخضرَّ واصفرَّ، ولقد اختلفت إليه زماناً فما رأيته إلا على ثلاث خصال: إما مصلياً، وإما صائماً، وإما يقرأ القرآن، وما رأيته قط يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة.

... لئلا يظن الناس أنني أقوم الليل



قال ابن وهب: كان في كم مالك منديل مطوي على أربع طاقات فإذا سجد سجد عليه فقليل له في ذلك فقال: أفعله لئلا يؤثر الحط على جبهتي فيظن الناس أنني أقوم الليل.



أنا أستحي من الله أن أطأ تربة نبي الله بحافر دابة



قال الشافعي: رأيت بياب مالك كراعاً من أفراس خراسان وبغال مصر فقلت: ما أحسنها! فقال: هي هبة مني إليك، فقلت: دع منها دابة لنفسك تركبها، قال: أنا أستحي من الله أن أطأ تربة نبي الله بحافر دابة.

أتريد أن تبوء بإثمي وإثمك؟



قال أبو عمران الصوفي: دخلت على مالك وعليَّ ثياب صوف، فقال: اخرجوه، فقلت: لا تفعل يا أبا عبد الله إنما أتيتك لأنك من ورثة الأنبياء، فسألته عن جوائز السلطان فكرهها، فقلت: إنك تقبل؟ فقال: أتريد أن تبوء بإثمي وإثمك؟

لقد جالسنه نيضاً وثلاثين سنة فما رأيناه ضحك إلا في هذا اليوم



قال الحسيبي: كنا عند مالك وأصحابه حوله فقال رجل من أهل نصيبين: يا أبا عبد الله عندنا قوم يقال لهم الصوفية يأكلون كثيراً ثم يأخذون في القصائد ثم يقومون فيرقصون فقال مالك: أصبيان هم؟ قال: لا، قال: أمجانين؟ قال: لا، قوم مشائخ وغير ذلك عقلاً، قال مالك: ما سمعت أن أحداً من أهل الإسلام يفعل ذلك، قال الرجل: بل يأكلون ثم يقومون فيرقصون نواذب ويلطم بعضهم رأسه وبعضهم وجهه، فضحك مالك ثم قام فدخل منزله، فقال أصحاب مالك للرجل: لقد كنت يا هذا شؤماً على صاحبنا، لقد جالسنه نيضاً وثلاثين سنة فما رأيناه ضحك إلا اليوم.



فكرهت أن أذكر علتى فأشكو ربي



قال غتيق بن مصعب: ولما حضرت مالك الوفاة سئل عن تخلفه عن المسجد قال غتيق وكان تخلفه قبل موته بسنين، فقال: لولا أني في آخر يوم من الدنيا وأوله من الآخرة ما أخبرتكم سلكس بولي، فكرهت أن آتي مسجد رسول الله ﷺ إلا على طهارة استخفافاً لرسول الله ﷺ، وكرهت أن أذكر علتى فأشكو ربي.

فلا يعود أبداً



قال مطرف: لقد رأيت مالكا يوماً وهو جالس في المجلس بعد الصبح ووجهه يصفر ويخضر حتى أطال الدعاء فأناه سائل عن مسألة فقطع عليه فالتفت مغضباً فقال: يأت أحدكم الرجل وهو في دعائه وقد فتح الله عليه منه ما شاء أن يفتحه مما يستدعى به الإجابة فيقطع ذلك عليه فلا يعود أبداً.

أخرج الحمار الضال من المسجد



قال ابن أبي حازم: كان بين رجل من قریش ومالك كلام، فقال له مالك: إن كنت تريد عيبي فسلط الله عليك من يخرجك من بيتك شر مخرجك، فلما صلى بنا إمامنا الصبح جلس في محرابه فنام فيه فرأى عمر بن الخطاب معه حرس يقول: أخرج الحمار الضال من المسجد، ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه بل حاله وحرامه وسنن نبيه وما يقرب إليه، فانتبه الإمام لينبه الناس على الرجل، وقد أخرج من المسجد ووضع في عنقه حبل؛ وجيء



به إلى دار السلطان فأخبر الناس الإمام برؤياه فأخبره الرجل بالقصة فجعل يضرع لمالك ويقول: خلني يا خير من يقول حدثنا، فاستغفر له مالك .

هذا رجل منصف



قال بشر بن عمر: جئت مع مالك إلى منزله حتى دخل المسجد فأنتهى إلى جماعة فوسع له في صدرها فأبى وجلس حيث انتهى به المجلس فقلت في نفسي هذا رجل منصف كنا لا نوسع لأحد في مجلسه لا يقعد في صدور مجالس الناس .

فرجع إلى وجهه الدم



قال البهلول بن عبيدة: كنت عند مالك فأتني برجل ملبأ، فقالوا له: الأمير يقرئك السلام ويقول لك: هذا خنق رجلاً فقتله، فقال مالك: اخنقوه حتى يموت كما فعل، وركبت مالك صفرة وتشوق حتى مدَّ بصره فأخبروه أنهم خنقوه فرجع إلى وجهه الدم، فقال: أظنتم أنني ندمت؟ لكن خفت أن يبطل حكم من أحكام الله تعالى .

قصة الإمام مالك مع قاتل أخيه



قال عبد الجبار بن عمر: حضرت مالكا وقد أحضره الوالي في جماعة من أهل العلم فسألهم عن رجل عدى على أخيه حتى إذا أدركه دفعه في البئر وأخذ رداءه وأبوا الغلامين حاضرين، فقال جماعة من أهل العلم والخيار للأبوين في العفو أو القصاص، فقال مالك: أرى أن تضرب عنقه الساعة، فقال الأبوان:

ليقتل ابن الأمس ونفجع في الآخر اليوم؟ نحن أولياء الدم وقد عفونا، فقال الوالي: يا أبا عبد الله ليس ثمَّ طالب غيرهما، وقد عفوا، فقال مالك: والله الذي لا إله إلا هو لا تكلمت في العلم أبداً أو تضرب عنقه، وسكت، وكلم فلم يتكلم، فارتجت المدينة وصاح الناس: إذا سكت مالك فمن يُسأل ومن يجيب؟ وكثر اللغط وقالوا: لا أحد بمصر من الأمصار مثله، ولا يقوم مقامه في العلم والفضل، فلما رأى الوالي عزمه على السكوت قدَّم الغلام فضرب عنقه فلما سقط رأسه التفت مالك إلى من كان حاضراً وقال: إنما قتلته بالحرابة حين أخذ ثوب أخيه ولم أقتله قوداً إذ عفا أبواه، فانصرف الناس وقد طابت نفوسهم حين رأوه بر يمينه إذ كان يُعلم أنه لا يحنت.

رسول الله ﷺ وموطأ مالك



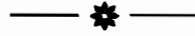
قال الدراوردي: كنت نائماً في الروضة بين القبر والمنبر، ورأيت النبي ﷺ قد خرج من القبر متكئاً على أبي بكر وعمر، ثم رجع فقممت إليه فقلت له: يا رسول الله من أين جئت؟ قال: مضيت إلى مالك بن أنس فأقممت له الصراط المستقيم، قال: فأتيت مالكا فوجدته يدون الموطأ فأخبرته بالخبر فبكي.

قصة الإمام مالك مع ابن الخليفة



قال أبو مصعب: سمعت مالكا يقول: دخلت على أبي جعفر بالغداة حين وقعت الشمس بالأرض وقد نزل عن شماله إلى بساط وعلى البساط برذونان قائمان من حين دخلت إلى حين خرجت لا يبولان ولا يروثان أدباً وإذا بصبي يخرج ثم يرجع، فقال: أتدري من هذا؟ قلت: لا، قال: هو ابني وإنما يفرع من شيتك وهيتك.

أبو جعفر المنصور والموطأ



وقال أبو جعفر المنصور لمالك : إني عزمت أن أكتب كتبك هذه نسخاً إلى كل مصر من أمصار المسلمين بنسخة أمرهم بأن يعملوا بما فيها ولا يتعدوها إلى غيرها من هذا العلم المحدث فإنني رأيت أصل العلم رواية أهل المدينة وعملهم، فقلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن الناس قد سبقت لهم أقاويل وسمعوا أحاديث وروايات وأخذ كل قوم بما سبق إليهم وعملوا به ودالوا له من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم وإن ردهم عما اعتقدوا شديداً، فدع الناس وما هم عليه وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم، فقال : لو طأعتني على ذلك لأمرت به .

نجاة الموطأ والمصحف من النار



قال أبو موسى الأنصاري : وقعت نار في منزل رجل فاحترق كل شيء في المنزل إلا المصحف والموطأ .

هذا حديث رسول الله ﷺ



قال عمر بن أبي سلمة : ما من مرة أقرأ الجامع من الموطأ إلا رأيت في منامي رجلاً يقول لي : هذا حديث رسول الله ﷺ ، قال : فلما قدمنا المدينة بوسيلة إلى مالك ، قال لي : أحضر غداً بكتاب المدبر والمكاتب فإنهم اجتمعوا على أن يقرأوه ، فبت ليلتين فرأيت قائلاً يقول وأنا نائم : غداً يقرأ على مالك حديث رسول الله ﷺ فغدوت إلى مالك ومعِيَ الكتابان ، فلما رأيَ قال لي :

أي شيء معك؟ قلت: المكاتب والمدابر فقال: إنهم قد بدا لهم وأجمعوا على قراءة الجامع، فذكرت له الرؤيا فقال لي: صدق وهو حديث رسول الله ﷺ.

إن مد بك العمر فستري ما يراد به الله



قال مطرف: قال لي مالك: ما يقول الناس في موطأي؟ قلت: الناس رجлан: محب مطر، وحاسد مفتر، فقال: إن مد بك العمر فستري ما يراد به الله، قال: فكأنما ألقيت تلك الآثار، ما سمع منها شيء بعد ذلك.

وقد رضى الناس منكم بدون هذا



دخل مالك يوماً على هارون الرشيد فحثه على مصالح المسلمين قال: لقد بلغني أن عمر بن الخطاب كان في فضله وكرمه ينفع لهم عام الرمادة النار تحت القدور يخرج الدخان من لحيته وقد رضى الناس منكم بدون ذلك.

الإمام مالك وشطرنج الخليفة



ودخل مرة على هارون الرشيد وبين يديه شطرنج منصوب وهو ينظر فيه فوقف مالك ولم يجلس، وقال: أحقُّ هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، قال: فما بعد الحق إلا الضلال؟ فرفع هارون رجله وقال: لا ينصب بين يدي بعد.

قصة الإمام مالك مع الحاجب



وروي أنه كان جالساً مع أبي جعفر المنصور فعطس أبو جعفر فشتمه مالك فلما خرج أنكر عليه الحاجب ذلك وتهدهه إن عاد لتشميته، فلما كان بعد ذلك



جلس عنده فعطس أبو جعفر فنظر مالك للحاجب ثم قال للمنصور: أي حكم تريد يا أمير المؤمنين أحكم الله أم حكم الشيطان؟ قال: لا بل حكم الله، قال: يرحمك الله.

قصة الإمام مالك مع سفرجل معاوية



قال يعيش بن هشام الخابوري: كنت عند مالك إذ أتاه رسول هارون الرشيد ينهائه أن يحدث بحديث معاوية في السفرجل، قال: ثم تلا مالك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا...﴾ (البقرة: ١٥٩) الآية، ثم قال: والله لأخبرن بها في هذه الصرفة فاندفع فقال: حدثنا نافع عن ابن عمر قال: كنت عند رسول الله ﷺ فأهدي إليه سفرجل فأعطى أصحابه واحدة واحدة وأعطى معاوية ثلاثة سفرجلات وقال: القن بهن في الجنة، وقال رسول الله ﷺ: «السفرجل يذهب طحاء القلوب»^(١).

أين يجلس شيخك مالك؟



ولما قدم المهدي المدينة جاءه الناس مسلمين عليه فلما أخذوا مجالسهم استأذن مالك فقال الناس: اليوم يجلس مالك آخر الناس، فلما دنى ونظر ازدحام الناس، قال: يا أمير المؤمنين أين يجلس شيخك مالك؟ فناداه: عندي يا أبا عبد الله، فتخطى الناس حتى وصل إليه، فرفع المهدي ركبته اليمنى وأجلسه ثم أتى المهدي بالطست والإبريق فغسل يده ثم قال للغلام: قدمه إلى أبي عبد الله فقال له مالك: يا أمير المؤمنين ليس من الأمر المعمول به أع يا غلام، فأكل معه غير متوضئ.

(١) حديث ضعيف: راجع «السلسلة الضعيفة والموضوعات».

قصة الإمام مالك مع أمير المدينة



وروي أن مالكا دخل على عبد الملك بن صالح أمير المدينة فجلس ساعة ثم دعا بالطعام والوضوء فقال: ابتدئ أولاً بأبي عبد الله، فقال مالك: إن أبا عبد الله - يعني نفسه - لا يغسل يده، فقال: لم؟ قال: ليس هذا الذي أدركت عليه أهل العلم ببلدنا إنما هو من زي الأعاجم وقد نهى عمر عن أمر الأعاجم وكان عمر إذا أكل مسح يده ببطن قدمه، فقال له عبد الملك: أترك يا أبا عبد الله؟ فقال: إي والله، فما عاد إلى ذلك عبد الملك بن صالح.

من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً مما ترك



قال حسين بن عروة: لما قدم المهدي المدينة بعث مالك بألفي دينار أو بثلاثة آلاف دينار مع الربيع فلما خرج من عنده قال: يا جارية لا تسمي هذا المال فإني قد تفرست حين نظرت وجه الربيع ورأيت فيه أمراً منكراً، ولهذا المال سبب، فلما حج المهدي وقدم المدينة أتاه الربيع بعد ذلك فقال له: أمير المؤمنين يقرؤك السلام ويحب أن تعادله إلى مدينة السلام، فقال مالك: أقرئ أمير المؤمنين السلام وقل له: قال رسول الله ﷺ: «والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»^(١)، والمال عندي على حاله، أخرجيه يا جارية أخرجيه، فأبى الربيع أن يقبله فلم يزل به مالك حتى أخذه، فأتى الربيع المهدي فغمه رد المال، فلما كان وقت رحلته شيعه الناس فوصلهم ووجه إلى مالك فودعه ولم يأمر له بشيء، فلما أتى منزله وجه له بستة آلاف دينار، فالتفت إلى من كان حاضراً وقال: من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً مما ترك.

(١) حديث صحيح: راجع «وقفات تربوية مع السيرة النبوية» للشيخ أحمد فريد.

احثوا التراب في وجوه المداحين



وقال بعض ولاة المدينة لمالك: لم لا تخضب كما يخضب أصحابك؟ فقال مالك: لم يبق عليها من العدل إلا أن أخضب؟ وأثنى على والي المدينة بحضرته عند مالك فغضب مالك، ثم التفت إليه وقال: إياك أن يغرك هؤلاء بشنائهم عليك، فإن من أثنى عليك وقال فيك من الخير ما ليس فيك أو شك أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك، فاتق الله في التزكية منك لنفسك وترضى بها من يقولها لك في وجهك فإنك أعرف بنفسك منهم، فإنه بلغني أن رجلاً امتدح رجلاً عند النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «قطعتم ظهره - أو عنقه - لو سمعها ما افلح»،^(١) وقال النبي ﷺ: «احثوا التراب في وجوه المداحين».^(٢)

يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك



وناظر أبو جعفر المنصور مالكا في مسجد رسول الله ﷺ فرفع أبو جعفر صوته، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، إن الله تعالى أدب قوماً فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ (الحجرات: ٢) الآية، ومدح قوماً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ﴾ (الحجرات: ٣) الآية، وذم قوماً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ﴾ (الحجرات: ٤) الآية، وإن حرمة ميتاً كحرمة حياً، فاستكان أبو جعفر، وقال له أبو جعفر: أدعو مستقبلاً القبلة أم مستقبلاً رسول الله ﷺ؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أهلك آدم إلى الله تعالى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به إلى ربك يشفعك، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ (النساء: ٦٤) الآية.

(٢) لم أعثر على تخريجه.

(١) لم أجد تخريجه.

خذ بقول ابن عمرو دعني مما سواه



قال زيد بن أسامة: لما قدم أبو جعفر المنصور دخلنا مسلمين عليه وأخذنا مجالسنا، فبينما نحن كذلك إذ دخل مالك فقال له المنصور: إلى ها هنا يا أبا عبد الله، ولو تركتم قول علي وابن عباس وأخذتم بقول ابن عمر، قال: لأنه آخر من مات من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال المنصور: والله يا أبا عبد الله ما بقى على الأرض أعلم مني ومنك، خذ بقول ابن عمر ودعني مما سواه.

ومن قبر محمد عندهم فينبغي أن يعلم فضلهم على غيرهم



قال مصعب: لما قدم المهدي المدينة استقبله مالك وغيره من أشرافها على أميال، فلما أبصر بمالك انحرف المهدي إليه فعانقه وسلم عليه وسأيره، فالتفت مالك إلى المهدي فقال: يا أمير المؤمنين إنك تدخل الآن المدينة فتمر بقوم عن يمينك وعن يسارك وهم أولاد المهاجرين والأنصار فسلم عليهم فإن ما على وجه الأرض قوم خير من أهل المدينة ولا خير من المدينة، فقال له: ومن أين قلت ذلك يا أبا عبد الله؟ قال: لأنه لا يعرف قبر نبي اليوم على وجه الأرض غير قبر محمد ﷺ ومن قبر محمد ﷺ عندهم فينبغي أن يعلم فضلهم على غيرهم، ففعل المهدي ما أمره به مالك.

نحن قد افتخرنا على أهل المدينة لما اتكأ علينا



ولما دخل المهدي المدينة ونزل وجهه بغلة إلى مالك ليركبها ويأتيه فرد البغلة وقال: إني لأستحي من الله أن أركب في مدينة فيها جثة رسول الله ﷺ،



وأتاه ماشياً، وكانت به علة فاتكاً على المغيرة المخزومي وعلى ابن حسن العلوي وعلى ابن علي اللهلي، وهؤلاء علماء المدينة وأشرافها، فلما بصر به المهدي قال: يا سبحان الله ترك ركوب البغلة إجلالاً لرسول الله ﷺ فقيض له هؤلاء فاتكاً عليهم، والله لو دعوتهم أنا إلى هذا ما أجابوني! فقال المغيرة: يا أمير المؤمنين نحن قد افتخرنا على أهل المدينة لما اتكأ علينا.

إنما يريدون أن يعيثوا بالدين



قال معن: دخل إبراهيم بن يحيى العباسي أمير المدينة يوماً على مالك ومالك حديث بعهد بعلّة فثبت في مجلسه لم يقم ولم يوسع مجلس إبراهيم على أقل فراش مالك، ومالك لا يتزحزح محادثة ساعة ثم قال له: ما تقول يا أبا عبد الله في محرم قتل قملة؟ قال: لا يقتلها، قال: فإنه قتلها فما فديتها؟ قال مالك: لا يفعل، قال: فعل، قال: لا يفعل، قال: أقول لك فعل فتقول لي لا يفعل، قال: نعم، فقام إبراهيم مغضباً وسكت مالك ساعة، ثم قال: إنما يريدون أن يعيثوا بالدين، إنما الفدية على من قتلها غير عامد لقتلها.

لم يضع أصلحك الله



قال معن: سأل إبراهيم العباسي أمير المدينة مالكاً يوماً فقال: أحب أن تكتب لي كتاباً، فكتب له، ثم دخل عليه مالك يوماً فقال له إبراهيم: أحب أن تكتب لي كتاباً مكان ذلك الكتاب فقد ضاع، فقال مالك: لم يضع أصلحك الله، قال: بلى، وحقك لقد ضاع، فعجل علي كتاباً مثله، قال: ما أنا بفاعل، قال له: لم؟ قال: لأنه لا يضع كتاب مثلك، مُرّ به يطلب تجده إن شاء

الله، ثم عاد إليه بعد فقال: علمت يا أبا عبد الله أنا طلبنا الكتاب فوجدناه، فقال: الحمد لله أصبت حين طلبته.

الملك لله الواحد القهار



قال عتيق بن يعقوب: خرجنا مع مالك إلى المصلى يوم عيد ومالك يمشي، وخرج عبد الملك بن صالح أمير المدينة في سلاح وتعبية ورايات وأعلام فنظر إليهم مالك فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون ما هكذا كان النبي ﷺ والخلفاء الراشدون، فبلغ ذلك عبد الملك فأتاه في المصلى، فقال: يا أبا عبد الله ما الذي أنكرت؟ قال: ما رأيت معك، إنما أتى الناس الصلاة خاشعين يرجون المغفرة ولقد أخبرني يحيى بن سعيد أن النبي ﷺ دخل عام الفتح مكة في عشرة آلاف أو اثني عشر ألفاً وكان راكباً وحط راحلته قطيفة قيمتها أربعة دراهم منكس الرأس وهو يقول: الملك لله الواحد القهار، وكان يأتي المصلى للعيدين والاستسقاء متوكئاً على عصا أو قوس منكساً رأسه خاشعاً.

ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء



قال عتيق بن يعقوب: دخل مالك يوماً على عبد الله بن صالح وقد غضب على بعض أهل المدينة حتى بلغ ذلك منه، فقال له مالك: قال كعب لعمر: في التوراة مكتوب «ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء»، فقال عمر: إلا من حاسب نفسه، فقال كعب: ما بينهما حرف «إلا من حاسب نفسه».



أحسن الله جزاءك



وروي أن بعض الخلفاء أراد أن ينقض منبر النبي ﷺ فقال لمالك : ما ترى؟ فقال : ما أرى ، فغضب وقال : لقد زاد فيه معاوية ، فقال مالك : إن المنبر إذ ذاك كان صلباً فلست آمن إن نقضته أن تذهب البركة منه ، وفي رواية : أن يسقط فيتشائم الناس منك ، ويقولوا : زال على يده أثر من آثار رسول الله ﷺ ، فقال : أحسن الله جزاءك ، فترك ما كان نواه .

مالك والمهدي



قال ابن عبد الحكم : استأذن المهدي على مالك فحبسه ساعة ثم أذن له فلما دخل قال : يا أمير المؤمنين إن العيال سمعوا بمجيئك فأحبوا أن يصلحوا من منزلهم .

مالك وأموال الرشيد



قال عبد الله بن مسلم الخياط : لما قدم الرشيد لبست ثياباً وغدوت إلى مالك وقلت يتوكأ عليّ فأصيب بسببه من أمير المؤمنين مالاً ، فغدا مالك فتوكأ عليّ يرافقه يحيى ، فأجاز مالك بأربعة آلاف دينار وأجاز ابنه بخمسمائة دينار وجاءته من الرشيد صلة .

إذا كان مقدار ما لو كان إمام عادل



وقال ابن أبي زنبر : وأجاز هارون مالك بثلاثة آلاف دينار ، فقال له رجل من الزهاد : يا أبا عبد الله ثلاثة آلاف تأخذها من أمير المؤمنين - كأنه يستكرها - فقال مالك : إذا كان مقدار ما لو كان إمام عادل .

أما إنني محتفظ بوصيتك



قال محمد بن سلمة: دخل مالك على المهدي فقال له: أوصني، فقال: أوصيك بتقوى الله وحده والعطف على أهل بلد رسول الله ﷺ وجيرانه فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «المدينة مهاجري وبها قبري وبها بعثتي وأهلها جيراني، وحقيق على أمتي حفظي في جيراني، فمن حفظهم كنت له شهيداً - أو شفيعاً - يوم القيامة، ومن لم يحفظ وصيتي في جيراني سقاه الله من طينة الخبال»^(١)، فأخرج المهدي غطاءً كثيراً وطاف بنفسه على دور المدينة، فلما أراد الخروج دخل عليه مالك فقال له: يا مالك أما إنني محتفظ بوصيتك التي حدثتني بها ولئن سلمت لأغفلت عنهم.

لو لم أملك من الدنيا إلا رداي هذا لواسيتهم به



قال هارون الزهري: سمعت مالكا يقول: لما قدم هارون الرشيد كنت ممن لقيته فقلت: يا أمير المؤمنين إن لأهل المدينة حقاً فاستوص بهم خيراً، فقال: وما حقهم؟ فقلت: هل تعلم أنه لا يعرف على وجه الأرض قبر نبي غير نبيك محمد ﷺ؟ قال: لا، قلت: فلو أن أهل المدينة خرجوا عنها وجب عليك أن تحييء بمن يسكنها ويجاور قبره، وتجري عليه الرزق؟ فقال لي: لو لم أملك من الدنيا إلا ردائي هذا لواسيتهم به.



(١) راجع «وقفات تربوية مع السيرة النبوية» فصل شرف المدينة وفضلها.

كيف أجيبك؟



قال مصعب وابن زبهر: استفتى والي المدينة مالكا في مسألة فأبى أن يجيبه وقال: كيف أجيبك وقد وليت على المسلمين خيثم بن عراك؟ فعزله وأفتاه.

لِمَ أَنَا مُعْدَم؟!



قال يحيى بن كثير: جئت الرشيد في يمين فجمع العلماء فأجمعوا أن عليه عتق رقبة، وسأل مالكا فقال: صيام ثلاثة أيام، فقال الرشيد: لِمَ أَنَا مُعْدَم؟! وقال الله: «فمن لم يجد» فأقمتني مقام المعدم، قال: نعم يا أمير المؤمنين كل ما في يديك ليس لك فعليك صيام ثلاثة أيام.

وأردت ذلك فلم تُقَلِّني ركبتي



قال المفضل بن حرب: دخل مالك والقاضي ابن عمران في أشرف المدينة على المنصور فكان كل من أراد الانصراف ألقى أبو جعفر كفه فقبله فقال بعضهم: لاقتدين اليوم بهذا الشيخ - يعني مالكا - فإن قبل الكُم قبلت وإن لم يفعل لم أفعل، فقام مالك وأنصرف ولم يقبل وأردت ذلك فلم تُقَلِّني ركبتي حتى قبلت.

لا أقعد بمكان يمثل فيه بأحد



قال معن: أفتى مالك عند والي المدينة بقتل رجل فأمر الوالي بضرب وسطه، فتهيا مالكا للقيام وقال: لا أقعد بمكان يُمثل فيه بأحد، قال تعالى:

﴿فَضْرِبَ الرِّقَابَ﴾ (محمد: ٤)، قال الوالي: اقعد أبا عبد الله، لا تضرب وسطه
اضربوا عنقه.

قصة الإمام مالك مع ابني الخليفة



قال سعيد بن داود بن أبي زبهر: دخل هارون المدينة ومعه أبو يوسف فأتى
إليه مالك فسلم عليه وأبو يوسف على يسار الرشيد وأبناؤه الأمين والمأمون
تجاهه، فلما دخل مالك غمز ابنه فقال: قوما بين يدي عمكما حتى يخرج
- يعني مالكًا -.

سفيه سأل عن مسائل السفهاء توليه أمور المسلمين؟!



تناظر أبو يوسف مع مالك فقال أبو يوسف لمالك: ما تقول يا أبا عبد الله
في محرم كسر ثنية ظبي؟ فقال مالك: عليه الفدية، فضحك أبو يوسف وقال:
وهل للظبي ثانيا؟ فرفع مالك رأسه إلى هارون وقال: سبحان الله ما علمت
أحدًا يذكر العلم فيضحك فلا وقر العلم ولا مجلس أمير المؤمنين وقال: يا أمير
المؤمنين سفيه سأل عن مسائل السفهاء توليه أمور المسلمين.

إذا رأيتنا جلسنا إلى أهل الباطل فتعالى حتى أجيبك!



قال معن: دخل مالك على هارون وعنده أبو يوسف فلم يزل هارون يدينه
حتى أخذ بيده وأجلسه إلى جنبه، وجعل يسأله: يا أبا عبد الله يا أبا عبد الله،
فقال له أبو يوسف: كيف أنت يا أبا عبد الله؟ فأعرض عنه، فقال له هارون:
هذا قاضينا، فأعرض عنه، وسأله أبو يوسف عن مسألة فلم يجبه، فقال له

هارون: أجبه، فقال له مالك وهو معرض عنه: إذا رأيتنا جلسنا إلى أهل الباطل فتعالى حتى أجيبك!

لو علمت أن حميد أخًا مثل هذا ما رويت عنه



اجتمع عند أمير مكة مالك بن أنس وعمر بن قيس المعروف بسندل أخو حميد بن قيس، فقيل لعمر: هذا رجل من ذي أصبح، قال: وأنا رجل من ذي أمسى وأقبل على مالك، فقال له: ما تقول فيمن كسر ثنية ظبي؟ فقال: عليه ما نقصته، فقال عمر: الأحيان يخطئ والأحيان لا يصيب، فقال مالك: هكذا الناس، ثم فطن فقال عمر: لا ولكن هذا أنت فقام مالك على الأمير وقال: ما ظننت أن الأمير يُحضر مجلسه اللعابين، ثم قال: من هذا؟ قيل: عمر بن قيس أخو حميد، فقال: لو علمت أن حميد أخًا مثل هذا ما رويت عنه.

باع مصحفًا فاشترى كلبًا



قال أبو داود: حج مالك فجلس عند الميزاب في ظل الكعبة وكثر الناس عليه يستفتونه، فإذا جاءه من يسأله عن الحج فقال: أفرد أفرد هي سنة النبي ﷺ فأناه عمر بن قيس فوقف عليه وقال: يا مالك أنت هالك، جلست في حرم الله تضل بيت الله تقول: افردوا افردوا، أفردك الله، فقام إليه الناس، فقال مالك: دعوا المسكين فهو في شر من هذا إنه يشرب الخندريس - يعني الخمر - وباع مصحفًا فاشترى كلبًا، فولى عمر وقد اسود وجهه، فوضعه الله إلى يوم القيامة.



قصة الإمام مالك مع السارق



قال أبو مصعب: أرسل الوالي إلى مالك بغلام شاب شهد عليه بالسرقة وقد كان المغيرة أفتى بحبسه وابن حازم بقطعه، ومدت يده للقطع ثم قال الوالي: اذهبوا إلى مالك فأدخل عليه وقرأت عليه قصة طويلة وشهادات قوية، ثم مر به شاهد شهد أنه نظر إليه يوم سرق فوجده قد انبت فقال: انظروا مع الشاهد غيره، فلم يوجد فقال: أرى شاهداً واحداً على الإنبات ولم ينظر فيه حتى شك لا قطع عليه، فقال له الرسول: بكم ترى يضرب؟ قال: خمسة وسبعين سوطاً ولو احتمل لزدت.

علماؤنا أعلم من علمائكم، تحدثني عن البقالين!



قدم أبو عبد الرحمن السروجي فأتى مالكا فجلس بين يديه وعلى مالك رداء عدني اشتراه بخمسمائة درهم فسأله عن رجل مات ولم يحج حجة الإسلام ولا أوصى بها أيحج عنه؟ فقال مالك: لا، فقال له أبو عبد الرحمن: ما هكذا يقول علماؤنا، قال: وما يقول علماؤكم؟ فقال: حدثنا هشام وذكر الحديث أن النبي ﷺ سمع رجلاً يلبي عن شبرمة فقال له النبي ﷺ: «عن نفسك لا عن شبرمة»، فقال مالك: علماؤنا أعلم من علمائكم تحدثني عن البقالين؟! قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: ٣٩)، ثم قال: أقيموه فأقاموني فبودي لو سكت حتى أسمع منه.



مناظرة مالك والأوزاعي



قال بعضهم: اجتمع مالك والأوزاعي فتناظرا، فجعل الأوزاعي يجر مالكا إلى المغازي والسير فقوى عليه، فلما رأى مالك ذلك جره إلى غيرها من الفقه فقوى مالك عليه.

ونرجو من عفو الله أكثر من هذا



قال العمري: لما ضرب مالك - رحمه الله تعالى - ونيلَ منه حمل مغشياً عليه فدخل الناس عليه فأفاق فقال: أشهدكم أنني جعلت ضاربي في حل، فعُدناه في اليوم الثاني فإذا به قد تماثل، قلنا له ما سمعنا منه، وقلنا له: قد نال منك، فقال: تخوفت أن أموت أمس فألقى النبي ﷺ فاستحي منه أن يدخل بعض آل النار بسببي فما كان إلا مدة حتى غضب المنصور الخليفة على ضاربه وضرب ونيل منه أمر شديد، فبُشر مالك بذلك فقال: سبحان الله! أترون حظنا مما نزل بنا الشماتة به؟! إنا لنرجو من عقوبة الله أكثر من ذلك، ونرجو من عفو الله أكثر من هذا، وقد ضربت فيما ضرب فيه محمد بن المنكدر وربيعه وابن المسيب ولا خير فيمن لا يؤذى في هذا الأمر.

فوسع الله عليك



قال مطرف ومصعب: جلد جعفر بن سليمان مالكا ثمانين سوطاً بسبب أن محمد بن عبد العزيز الزهري حمّله عليه في عمله الأول أنه يفتي الناس أن ليس على من أكره على بيعة من شيء، قال مطرف: فرأيت آثار السياط في ظهره قد شرحته تشريحاً، وكان حين مدّوه في الحبل بين يديه خلعوا كتفيه حتى كان ما

يستطيع أن يسوي رداءه، فلما ولى جعفر عمله الآخر ودخل عليه مالك سأله جعفر أن يجعله في حل، وقال: إني جهلت واستزللت والله ما جلدك إلا القرشيون، فقال له مالك: إنك ترى أن قد ظلمتني؟ قال: نعم، قال: فأنت في حل فوسع الله عليك.

ما أغبط أحداً لم يصبه في هذا الأمر أذى



قال إبراهيم بن حماد الزهري: رأيت مالكا يحمل إحدى يديه بالأخرى وقيل لمالك: هذا ابن عبد العزيز الزهري قد وقف بالمسجد، وكان قاضي المدينة الذي أفتى بجلد مالك، فقال مالك: ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم ذكر محنة محمد بن المنكدر وربيعة ثم قال: قال عمر بن عبد العزيز: ما أغبط أحداً لم يصبه في هذا الأمر أذى.

اللهم اغفر لهم فإنهم لا يعلمون



قال الدراوردي: لما أحضر مالك لضربه في البيعة التي أفتى بها وكنت أقرب الخلق منه وسمعتة يقول كلما ضرب سوطاً: اللهم اغفر لهم فإنهم لا يعلمون حتى فرغ من ضربه، قال الليث: إني لأرجو أن يرفع الله مالكا بكل سوط درجة في الجنة.

وما هو إلا الندم والاستغفار



قال محمد بن خالد: كنا عند جعفر بن سليمان في مرضه الذي مات فيه فدخل عليه حماد بن زيد، فقال له: يا أبا إسماعيل رأيت في منامي مالك بن

أنس فسلمت عليه فلم يرد فأعدت عليه فرد، وقال لي: إن لي ولك غداً مقاماً عند الله فأرقت لذلك وغممني، قال حماد: إن مالكا من الإسلام بمكان جليل وما هو إلا الندم والاستغفار.

لا والله حتى ألتقي أنا وأنت بين يدي الله



قال المنذر: الذي أغرى بمالك جعفر بن سليمان رجل من بني مخزوم صاحب أدب وذكر، نقل فتوى الإمام مالك إلى جعفر بن سليمان فنقلها إلى الخليفة المنصور فكتب إليه أن اجلده، فجلده ومد يده بين العقابين، ثم عزل جعفر عن المدينة وأعيد إليها ثانية فأكرم مالكا وقربه وتباعد منه مالك حتى كف عنه، فحج، فبينما مالك في الموقف قال جعفر لأصحابه: لا تحركوا وسار فلم يشعر مالك إلا بإنسان ضرب بسوط محمله، فرفع مالك رأسه فقال: يا مالك هذا يوم عظيم ينظر الله إلى عباده ويغفر لهم فاجعلني في حلٍّ مما ارتكبت، فقال: لا والله حتى ألتقي أنا وأنت بين يدي الله، فرجع.

أوصيك بالقرآن خيراً



قال أسد بن الفرات: لزمنا أنا وصاحب لي مالكا، فلما أردنا الخروج إلى العراق أتينا مودعين له، فقلنا له: أوصنا، فالتفت إلى صاحبي وقال: أوصيك بالقرآن خيراً، والتفت إليّ وقال: أوصيك بهذه الأمة خيراً، قال أسد: فما مات صاحبي حتى أقبل على العبادة والقرآن وولى أسد القضاء.



فإنه سيكون لك شأن من الشأن



قال الشافعي: لما سرت إلى المدينة ولقيت مالكا وسمع كلامي، نظر إلي ساعة وكانت له فراسة ثم قال لي: ما اسمك؟ قلت: محمد، قال: يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فإنه سيكون لك شأن من الشأن.

كانت العراق تجيش علينا بالدنانير والدراهم



قال مطرف: جاء رجل من أهل الكوفة إلى مالك فأقام نحو الستين أو السبعين يوماً فسمع عددها أحاديث، فشكى ذلك إلى مالك وقال: نحن بالعراق نكتب من الحديث في ساعة أكثر من هذا، فقال له: يا ابن أخي بالعراق عندكم دار الضرب، يضرب بالليل ويخرج بالنهار، ثم قال مالك: كانت العراق تجيش علينا بالدنانير والدراهم فصارت الآن تجيش علينا بالحديث.

عليهم بأكل البطيخ



وقيل لمالك: إن أهل الشام يقرأون إبراهيم، فقال: عليهم بأكل البطيخ.

يا مصري هل مسجدكم بواب؟



قال ابن أبي مريم: قال لي مالك: يا مصري، هل على مسجدكم بواب؟ فقلت: نعم، قال: هذا سجن وليس بمسجد.



وجدتها يا مولاي جنة



قال مالك: قدم ابن شهاب الزهري المدينة فبكرت إليه، فوجدته في طريق المسجد ومعه غلامه أنس وكان قد زوجه أمة له، فقال له: كيف وجدت أهلك؟ فقال: فوجدتها يا مولاي جنة، فقال ابن شهاب: الحمد لله، ففطنت وضحكت، فسألني فقلت: إنه يقول إنها لم توافقه، إن في الجنة سعة وبرداً، فقال: كذلك يا أنس؟ قال: إي والله يا مولاي!، فما زال يضحك ويعيدها إلى أن فاتته الجماعة فصلى في منزله.

تضحك إذا خرج مني ريح



قال ابن أويس: جاء رجل وامرأته إلى مالك، وكان منهما يشكو صاحبه، فقال مالك للرجل: ما نقيمت عليها؟ فقال: تضحك إذا خرج مني ريح، قال مالك: فتباعد عنها إذا كان منك ذلك، فقالت المرأة: هو أصبح من ذلك، وهو رعد كرعد الخريف، فقال مالك: احشي أذنك قطعاً، فقالت: والله لو جعلت في أذني سندان حداد لنفذه، فقال مالك: اذهبي فاضحكي حيث شئت، وقال للرجل: عليك بالصعتر تداوم عليه، فانقطع عنه.

مشيتي حسنة؟!



قال عمر بن سليم: رأى مالك فتى يمشي مشية منكراً، فقام مالك فجعل يمشي إلى جنبه يحاكيه، فوقف الفتى، فقال له مالك: مشيتي حسنة؟! قال الفتى: لا، قال: فلم تمشيها أنت؟ قال: لا أعود.

يرحمك الله كنا أبصر بعوار منزلنا منك



كان مالك يوماً جالساً فاستأذن عليه صديق له فأذن له، وكان للمالك بطيخة في ناحية، فرمى بمنديل عليها، فدخل الرجل، فقال له مالك: ها هنا، فأبى أن يقعد إلا على المنديل فتفتحت تحته البطيخة، فقال له مالك: يرحمك الله كنا أبصر بعوار منزلنا منك.

أحق الناس باللطمة؟



قال المزني: أحق الناس بلطمة من أكل طعاماً لم يدع إليه، وأحق الناس بلطمتين من قال له صاحب المنزل: ها هنا ولم يجلس، وأحق الناس بثلاث لطعات من قال لصاحب المنزل: ادغ ربة المنزل تأكل معنا.

يا فرس!



وسأل رجل مالكا عمن قال لآخر: يا حمار، قال: يجلد، قال: فإن قال له: يا فرس، قال: تجلد أنت! ثم قال: يا ضعيف وهل سمعت أحداً يقول لآخر: يا فرس؟

يا ابن أخي! أهلي بالقرب مني وما أدري ما حدث لهم!



قال ابن مهدي: قلت للمالك: ارفق عليّ فقد طال مقامي وما أدري ما حدث على أهلي بعدي، فتبسم وقال: يا ابن أخي أهلي بالقرب مني وما أدري ما حدث عليهم.

لله الأمر من قبل ومن بعد



قال بكر بن سليمان الصواف: دخلنا على مالك بن أنس في العشية التي قبض فيها، فقلنا: يا أبا عبد الله كيف تجدك؟ قال: ما أدري، ما نقول إلا أنكم ستعاينون غداً من عبد الله ما لم يكن في حساب، ثم ما برحنا حتى غمضناه وقيل إنه تشهد ثم قال: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ (الروم: ٤).

وإذا الصارخ على مالك



ورأى عمر بن يحيى بن سعيد الأنصاري في الليلة التي مات فيها مالك قائلاً يقول:

لقد أصبح الإسلام زعزع ركنه *** غداة ثوى الهادي لدى منحدر القبر

إمام الهدى ما زال العلم صائناً *** عليه سلام الله في آخر الدهر

قال: وانتبهت وكتبت البيتين في السراج، وإذا الصارخ على مالك - رحمه الله تعالى -.

سبقك بها أبو تمام



قال حبيب كاتب مالك: كنا عند مالك يوم مات في جماعة من إخواننا إذ أتاه ابن حازم، فقال: يا أبا عبد الله رأيت هذه الليلة رؤيا أحبيت أن أقصها عليك، قال: قص، قال: رأيت السماء انفجرت فهبط منها ملك بيده طومار وهو يقول: يا معشر الناس هذه براءة مالك من الناس، ثم إنا جلوس ما برحنا، حتى دخل والي المدينة ابن أبي زينب ومعه مؤدبة فقال: يا أبا عبد الله، إن مؤدبي رأى الليلة رؤيا ذكر مثلها سوء، فقال مالك: سبقك بها أبو تمام، ثم

خرجنا من عنده فلما بلغنا باب الدار أغلق وسمعنا صوائح ورجعنا، فما لبثنا أن خرج ابنه يقول: قد قبضه الله إليه.

فإذا هي ليلة مات فيها مالك



قال الشافعي: قالت لي عمتي ونحن بمكة: رأيت في هذه الليلة عجباً، قلت: وما هو؟ قالت: كأن قائلاً يقول: مات الليلة أعلم أهل الأرض، فحسبنا تلك الليلة، فإذا هي ليلة مات فيها مالك.

كنت أشتم مالكا



قال الحسن بن حمزة الجعفري: كنت أشتم مالكا، فأقمت عشيّتي على ذلك: فمت فرأيت الجنة فتحت فقلت: ما هذا؟ قالوا: الجنة، قلت: فما هذه الغرف، الغرفة فوق الغرفة؟ قالوا: لمالك بن أنس بما ضبط على الناس دينهم، فلم أنتقصه بعد وصرت أكتب عنه.

ليعلم من صدق الله



ورأى آخر كان قائلاً يقول: ليعلم من صدق الله، فقام مالك بن أنس قال بعضهم: رأيت مالك بن أنس في النوم فقلت: قد نفع الله بك ونفعت أهل بلدك، فقال: أما والله ما أردت بذلك إلا الله.



وهو على ناقّة تطير بين السماء والأرض



قال أسد بن موسى: رأيت مالك بن أنس بعد موته وعليه الطويلة وثياب خضر وهو على ناقّة تطير بين السماء والأرض، فقلت: يا أبا عبد الله اليس قد مت؟ قال: بلى، فقلت: إلى ما صرت؟ قال: قدمت على ربي فكلمني كفاحًا، قال: سلني أعطيك وتمن علي أرضيك.

مالك فوق ذلك



وذكر أن الفضيل بن عياض رأى أنه دخل الجنة قال: بينما أنا في طرفها إذ مررت بزيد بن أسلم بين غرفة من غرفها وعليه قلنسوة طويلة، فقلت: زيد؟ قال: نعم، قلت له: سكّنتك الله وشرفك، فأين مالك لا أراه؟ قال: أين مالك؟ مالك فوق ذلك، فما زال يقول: فوق ذلك حتى وقعت قلنسوته.

سبحان الحي الذي لا يموت



ورآه آخر فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قال: لماذا قال بكلمة عثمان التي كان يقولها إذا رأى الميت: سبحان الحي الذي لا يموت.

هيهات! ذلك في عليين مع البكائين



قال ابن أبي أويس: كان يحيى بن يزيد النوافلي من الزهاد العباد وكان لا يكلم مالكًا ولا أبي ذئب ولا ابن عمران وكتب إلى كل واحد منهم كتابًا يعظهم في إقبالهم على الدنيا، فأما مالك فأجابه أحسن جواب، وأما الآخرون فأغلظا

عليه في القول، فقدم بعد موتهم من الغابة إلى المدينة فلم يتخلف عنه أحد فحضرته يوماً وهو يتحدث وعنده خلق كثير وهو يبكي ويقول: رأيت في هذه الليلة كأنني في موضع نخيل وبساتين وخضرة وقصور وأنهار تجري فاعتمدت إلى قصر رأيت أنه أفضلها فلما ذهبت لأدخله إذا على بابه إنسان فمنعني من الدخول وقال: حتى أستأذن لك، فذهب ثم أذن لي فأدخلني، إذا بقصر لم ير الراؤون مثله حسناً، وإذا فيه مالك بن أنس جالس في وسطه وفي حجره مصحف وعليه ثياب خضر أحسن ما تكون، فلما وقفت سلمت عليه وقلت: قد مت؟ قال: بلى، قلت: فيم صرت إلى ها هنا؟ قال: بعفو الله وتجاوره عني وسعة رحمته لا بعلمي، قلت: فما رأيت في شأن العلم؟ قال: أكثر ما نجونا بالتوقف عنه، قلت: أين زيد بن أسلم؟ فرفع رأسه إلى السماء وأشار بإصبعه وقال: هيهات! ذلك في عليين مع البكائين.

إن مالكاً في أعلى



وعن بشير بن بكر قال: رأيت الأوزاعي والثوري وهما في الجنة، فقلت: أين مالك؟ فقالا لي: إن مالكاً في أعلى. ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوته.

فقال: اجعلوه مع أبي عبد الله وأبي عبد الله وأبي عبد الله



قال التستري: رأى أبو زرعة الرازي فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال لي: أكثرت علي يا أبا زرعة، وكيف أكثر مخاصمة في النوم أصحاب المقالات وقال: فقلت: إلى ربي أنهم حاولوا دونك، فقال: اجعلوه مع أبي عبد الله وأبي عبد الله وأبي عبد الله، مالك والثوري وابن حنبل.

فلو كان يصلح للخلافة قلنا خليفة ولكنه العلم



قال الدراوردي: رأينا النبي ﷺ في المنام جالساً في الروضة بين القبر والمنبر إلى الأسطوانة المغلقة فأتيناه وجلسنا إليه، إذ أقبل مالك آخرنا وسلم فأجلسه رسول الله ﷺ إلى جانبه ثم نزع خاتمه من يده ﷺ وقال به بين أصابعه وجمعهن، فليس أحد منا إلا تشرف إليه، فأخذ بيد مالك ووضع في إصبعه، فلو كان يصلح للخلافة قلنا خليفة ولكنه العلم.

الزم ما أمرك به مالك بن أنس



وقال رجل: كنت انتقص مالك بن أنس فرأيت رسول الله ﷺ في النوم فقال لي: الزم ما أمرك به مالك بن أنس فإنه يريد بما فيه الله تعالى.

فما على ظهر الأرض أعلم منه



قال الزبير بن حبيب: كنت أتناول مالكا فرأيت النبي ﷺ عند الأسطوانة المغلقة وأنا معه، إذ أتى رجل يسأله عن مسألة فقال له النبي ﷺ: ائت مالكا فاسأله فما على ظهر الأرض أعلم منه.

عليك بما يقول مالك فإنه ورث وحي



قال محمد بن رمح: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله إن مالكا والليث يختلفان، فقال رسول الله ﷺ: عليك بما يقول مالك فإنه ورث وحي - بمعنى سنتي -.

أعطيت مالكا كنزاً



وعن ابن سرح: رأيت النبي ﷺ وأنا شاب والناس مجتمعون يسألونه، فقال: قد أعطيت مالكا كنزاً وأمرته أن يصدقه عليكم.

الرؤيا تسرو ولا تغر



وجاء رجل إلى مجلس مالك فقال: أيكم مالك؟ فقالوا: هذا، فسلم عليه واعتنقه وضمه إلى صدره، وقال: والله لقد رأيت رسول الله ﷺ البارحة جالساً هنا، فقال: هاتوا بمالك فجيء بك ترتعد فرائصك فقال: ليس بك بأس يا أبا عبد الله، اجلس، فجلست، فقال: افتح حجرك، ففتحت، فملاه مسكاً منشوراً، وقال: ضمه إليك وبشه في أمي، فهكى مالك وقال: الرؤيا تسر ولا تغر، إن صدقت رؤياك فهو العلم الذي أودعني الله.

خذ هذه الصرة وضعها تحت قبري



قال أبو هاشم: رأى رجل النبي ﷺ على المنبر يخطب إذ جاء مالك فقال: يا مالك، خذ هذه الصرة وضعها تحت قبري، قال أبو هاشم: هو العلم الذي به.

رأي مالك هو الصواب



قال أبو بكر بن سعدون صليت بمصر الضحى فرأيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إن مالكا والليث اختلفا في الضحى، فمالك يقول: اثني عشر ركعة، والليث يقول: ثمان، فضرب بيده بين وركي وقال: رأي مالك هو الصواب.



بين يديه عمود من نور



قال يحيى بن يزيد النوافلي: رأيت رسول الله ﷺ ومالك يمشي بين يديه بشمعة يحملها، وفي رواية أخرى عنه: رأيت كأننا في الجنة وإذا مالك بن أنس بين يديه عمود من نور.

فإنه يخرجها وإن كانت أدق من الشعرة



قال رجل: كانت في نفسي مسألة دقيقة كنت أحب أن أرى النبي ﷺ في النوم فأسأله عنها فقلت: يا رسول الله في نفسي مسألة دقيقة أحب أن أسألك عنها، فقال: ائت مالكاً فأسأله عنها، فإنه يخرجها وإن كانت أدق من شعرة.

وددت أني رأيت ما رأيت وليس لي قوت يومي



قال محمد بن أبي بشر: كنت في مجلس ابن حنبل فطعن قوم على مالك وآخرون على الثوري فانصرفت وفي قلبي من الغم ما لا أصفه فقامت فرأيت رجلاً من أحسن ما رأيت وأطيبه رائحة وأنقاه ثوباً، عن يمينه رجل وعن يساره آخر وكلاهما في هيئة جميلة غير أنه أعلاهم حالاً، فقال: هل تعرفني؟ فقلت: لم أرك قبل فأعرفك، لا أخالك إلا مشهوراً لما أرى من هيتك وحسن وجهك، فقال: أنا نبيك محمد، فقلت: صلى الله عليك بأبي أنت وأمي فمن هذا؟ فقال: إمام داري مالك بن أنس، وأشار على الذي عن يمينه: وهذا إمام أهل العراق سفيان الثوري، وأشار إلى الذي عن يساره، فاشهد بالصدق لهما وأحبهما فإني أحبهما، والله ما تكلمنا برأي إلا أصابا فيه سنتي، ونصحنا فيما

اجتهدا فيه أنفسهما بجميع أمتي، وإنهما تأخرا عن القرن الأول غير مختلفين عن منازلهما بلزوم السنة وضبط الأثر، أقد حفظت؟ فقلت: نعم، فغدوت إلى ابن حنبل فأخبرته، فقال: وددت أني رأيت ما رأيت، وليس لي قوت يومي، هذا والله رأيي فيهما.

هو بازيك الذي صدت



قال ابن القاسم: رأيت بالإسكندرية كاني صدت بازياً - طائر - ففضته فإذا جوفه مملوء جوهرًا فعبرت رؤياي على زيد بن شبيب، فقال لي: لعلك حدثت نفسك بشيء من طلب العلم؟ قلت: هو كذلك، قال: فمن ذكرت؟ قلت: مالك، قال: هو بازيك الذي صدت، والباز هو سيد الطير والجوهر الذي وجدت في جوفه هو العلم الذي تسأل عنه.

فقل لي: هذا مالك



قال عمار بن يزيد بن الخشاب: رأيت كاني دخلت مدينة اختلطت على أزقتها فصرت لقوم، فقام إلي شيخ فأخذ بيدي حتى أخرجني إلى طريق واسع واضحة وقال: خذ عليها، فسألت عنه فقل لي: هذا مالك.

ألا إن الحق في قول مالك لا يتعداه



قال ابن اللباد: وبلغني أيضاً أن رجلاً أعرفه كان ينتحل مذهب أبي حنيفة رأى في نومه النبي ﷺ فسلم عليه وصافحه، وقال: فأردت معانفته فأعرض عني، فقلت في نفسي: ما أراه إلا لاستحلالي النبذ - فقال قائل: وددنا لو

سألناه ما تنتحل؟ - فقال عليه الصلاة والسلام: ألا أن الحق في قول مالك، ما يتعداه، فصار الرجل إلى مذهب مالك وترك مذهبه.

فاتق الله في هذه الأمة



وروي أن مالكا قال لابن هرمز: رأيت كأنني أنظر في مرآة، فقال ابن هرمز: من رأى هذا فهو ينظر في أمر دينه، ثم قال: يا مالك أنت اليوم مُمَلِّك فاتق الله في هذه الأمة إن كنت لها مالكا.

لا تخبرني فقد رأيت مثل ما رأيت



قال العامري: بينما أنا في المسجد وهو غاص بأهله، وإذا أنا برسول الله ﷺ قد خرج من قبره، وبیده قارورة مسك فوقف ثم قال: أيكم مالك؟ فقال مالك: ها أنا ذا بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: خذ هذه، وناوله القارورة، فاقسم بين الناس، فجاء العامري يخبر بها مالكا، فقال له مالك: لا تخبرني فقد رأيت مثل ما رأيت.

ولم لا تقوم وقد مات عالم الآفاق!!



قال إبراهيم بن أبي يحيى: نمت فرأيت الشمس قد كسفت وقد علت الأرض ظلمة حتى إن الناس لا ينظر بعضهم إلى بعض، فقلت لرجل بجنبي: أقامت القيامة؟ فقال: ولم لا تقوم وقد مات عالم الآفاق!! قلت: ومن هو؟ قال: مالك، فانتبهت وفزعت فإذا أنا به قد مات.

يا رسول الله من نسأل بعدك؟



قال ابن مزاحم: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله من نسأل بعدك؟ قال: مالك بن أنس.

إذا أردت العلم فعليك بعالم الآفاق



قال ابن القاسم: بينما أنا نائم، أتاني آت فقال لي: إذا أردت العلم فعليك بعالم الآفاق فقلت: من هو؟ فقال لي: هذا الشيخ انظر إليه، فنظرت إليه فإذا شيخ أشقر طويل حسن اللحية فاستيقظت وقد مضى أكثر شوال فتوجهت إلى مكة وحججت فلما أتيت المدينة اغتسلت ودخلت مسجد النبي ﷺ فنظرت فإذا بالصفة التي في النوم، وإذا هو مالك، فعرفت أنه هو الذي قيل لي فيه عالم الآفاق، فلزمته.

وإذا رجل يرمي ويصيب



ورأى بعضهم أن الناس اجتمعوا في جبانة الإسكندرية يرمون غرضاً كلهم تخطاه، وإذا رجل يرمي ويصيب، قال: فقلت: من هذا؟ قيل: مالك بن أنس.

خلف مالك خمسمائة زوج من النعل



قال محمد بن عيسى بن خلف: خلف مالك خمسمائة زوج من النعل، وقد انتهى يوماً كساء قومياً فما بات إلا وعنده منه سبعة بُعثت إليه^(١).

(١) القاضي عياض «ترتيب المدارك» (ج١، ص: ١٤٠) وما بعدها.



ألا من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا مالك



قال أبو داود: ضرب جعفر بن سليمان مالك بن أنس في طلاق المكره ولما ضرب حلق وحمل على بغير، ف قيل له: ناد على نفسك فقال: ألا من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي، وأنا أقول: إن طلاق المكره ليس بشيء، فبلغ ذلك جعفر بن سليمان فقال: أدركوه أنزلوه.

مالك بن أنس



قال إسماعيل بن مزاحم الروزي - وكان من أصحاب ابن المبارك من العباد -: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله من نسأل بعدك؟ قال: مالك بن أنس.

فاولت ذلك العلم واتباع السنة



قال أبو عبد الله مولى الليثين - وكان من المختارين -: رأيت رسول الله ﷺ في المسجد قاعداً والناس حوله، ومالك قائم بين يديه، وبين يدي رسول الله ﷺ مسك، وهو يأخذ منه قبضة قبضة فيدفعها إلى مالك ومالك ينشرها على الناس، قال مطرف: فأولت ذلك العلم واتباع السنة.

يعجبني أن يدعو بدعاء الأنبياء



قال ابن وهب: سئل مالك عن الرجل يدعو يقول: يا سيدي؟ فقال: يعجبني أن يدعو بدعاء الأنبياء: ربنا .. ربنا.

كأنهم من الفقه أنبياء



قال مالك بن أنس: قال عيسى بن مريم - عليهما السلام -: تأتي أمة محمد ﷺ علماء حكماء كأنهم من الفقه أنبياء، قال مالك: أراهم صدر هذه الأمة وحق على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية والعلم حسن لمن رزق خيره، وهو قسم من الله تعالى فلا تمكن الناس من نفسك فإن من سعادة المرء أن يوفق للخير، وإن من شقوة المرء أن لا يزال يخطئ، وذل وإهانة للعلم أن يتكلم الرجل بالعلم عند من لا يطيعه^(١).

إن الناس قد تطاول عليهم ما يوعدون



قال مالك بن أنس: بلغني أن مالك قال لابنه: يا بني إن الناس قد تطاول عليهم ما يوعدون وهم في الآخرة سراع يذهبون، وإنك قد استدبرت الدنيا منذ كنت، واستقبلت الآخرة، وإن داراً تسير إليها أقرب إليك من دار تخرج منها.

ما ترك على الأرض مثله



قال القعنبى: أتينا سفيان بن عيينة فرأيت حزيناً، فقيل: بلغه موت مالك بن أنس رضي الله عنه، ثم قال سفيان: ما ترك على الأرض مثله.



ما شاء الله يا هذا!



قال عبد الرحمن بن مهدي: رأيت رجلاً جاء إلى مالك بن أنس يسأله عن شيء أياماً ما يجيبه، فقال: يا أبا عبد الله إني أريد الخروج! قال: فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه وقال: ما شاء الله يا هذا! إني إنما أتكلم فيما أحسب فيه الخير، وليس أحسن مسألتك هذه.

أرأيت؟



قال أحمد بن سعيد الدارمي: جاء رجل إلى مالك وسأله عن مسألة، قال: قال رسول الله ﷺ كذا، فقال الرجل: أرأيت؟ قال مالك: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣).

الإمام مالك ومن تنقص أصحاب الرسول ﷺ



قال مالك بن أنس: من تنقص من أصحاب رسول الله ﷺ، أو كان في قلبه عليهم غل، فليس له حق في فيء المسلمين ثم تلا قوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ (الحشر: ٧) حتى أتى قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا﴾ (الحشر: ١٠)، الآية، فمن تنقصهم أو كان في قلبه عليهم غل فليس له في فيء حق^(١).



أصحاب النبي ﷺ وحواري عيسى ﷺ



قال مالك بن أنس: كان راهباً بالشام، فلما رأى أوائل أصحاب النبي ﷺ الذين قدموا الشام ونظر إليهم، قال: والذي نفسي بيده ما بلغ حواري عيسى بن مريم - عليهما السلام - الذين صلبوا على الخشب ونشروا بالمناشير من الاجتهاد ما بلغ أصحاب محمد ﷺ، قال عبد الله بن وهب: قلت لمالك بن أنس: تسميهم؟ فسمى أبا عبيدة ومعاذاً وبلالاً وسعد بن عباد.

أقبر الصديق تريدون؟!



قال عبد الله بن وهب: سمعت مالكا يقول: لما قدم صالح بن علي الشام سأل عن قبر عمر بن عبد العزيز فلم يجد أحداً يخبره حتى دل على راهب، فأتى فسئل عنه فقال: أقبر الصديق تريدون؟! هو في تلك المزرعة.

فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية



قال مالك بن أنس: بلغني أن عيسى ﷺ كان يقول: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتفسوا قلوبكم، فإن القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب، ولكن انظروا فيها كأنكم عبيد، فإنما الناس رجلان، مبتلى ومعافى، فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية.





ما بلغ بك ما نرى؟!



قال مالك بن أنس: بلغني أن لقمان الحكيم قيل له: ما بلغ بك ما نرى؟! قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يعنيني.

واحذر خليلك



قال مالك بن أنس: حدثني من أَرْضَى أن عمر بن الخطاب أوصى رجلاً فقال: لا تعترض فيما لا يعنك، واجتنب عدوك، واحذر خليلك، ولا أمير من القوم إلا من خشى الله، والأمين من القوم لا تعدل به شيئاً، ولا تصحب فاجراً كي تعلم فجوره، ولا تفش إليه سرك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله^(١).

والله لأدخلن الجنة!



قال إسماعيل بن أبي أويس: حدثنا مالك أن امرأة كانت عند عائشة زوج النبي ﷺ ومعهما نسوة فقالت امرأة منهن: والله لأدخلن الجنة، لقد أسلمت وما زينت وما سرقت، فأتيت في المنام ف قيل لها: أنت المتألية لتدخلن الجنة؟! كيف وأنت تبخلين بم لا يغنيك، وتكلمين فيما لا يعنك؟ قال: فلما أصبحت المرأة دخلت على عائشة رضيها فأخبرتها بما رأت، فقالت: اجمعي النسوة اللاتي كن عندك حين قلت ما قلت، فأرسلت إليهن فحدثهن بما رأت في المنام.

لا فقهتم أبداً



قال أبو خلود: أقمت على مالك فقرأت الموطأ في أربعة أيام فقال مالك: علم جمعه شيخ في ستين سنة أخذتموه في أربعة أيام؟ لا فقهتم أبداً.

يا أبا عبد الله أكره أن تكون غيبته



قال محمد بن الحسن: كنت عند مالك فنظر إلى أصحابه فقال: انظروا أهل المشرق، فأنزلوهم بمنزلة أهل الكتاب إذا حدثوكم، فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، ثم التفت فرآني، فكأنه استحيى، فقال: يا أبا عبد الله أكره أن تكون غيبة، هكذا أدركت أصحابنا يقولون.

أتقرنني بمالك؟



قال يونس: سمعت سفيان بن عيينة - وذكر حديثاً - فقالوا: يخالفك فيه مالك، فقال: أتقرنني بمالك؟ ما أنا وهو إلا كما قال جرير:

وابن اللبّون إذا ما لُزِقَ قرنٌ *** لم يستطع صَوْلَةُ البُزُلِ القناعيس^(١)



(١) ابن اللبّون: ما أوفى على ثلاث سنين، لُزِ: ربط، القرن: الحبل الذي يشد به البعيران ونحوهما فيقرنان معاً، والبزل جمع بازل؛ البعير الذي دخل في السنة التاسعة، والقناعيس: جمع قنعاس؛ الجمل العظيم الجسم الشديد القوة، ضربه مثلاً لمن يعارضه ويهاجيه، يقوم: من رام ادراكي كان بمنزلة ابن اللبّون إذا قرن في قرن مع البازل القناعيس إن صال عليه لم يقدر على دفع صولته ومقاومته وإن رام النهوض معه قصر عن عدوته.

من أين علموا ذلك؟



قال ابن وهب: سمعت مالكا وقال له ابن القاسم: ليس بعد أهل المدينة أعلم بالبيع من أهل مصر، فقال مالك: من أين علموا ذلك؟ قال: منك يا أبا عبد الله، فقال: ما أعلمها أنا فكيف يعلمونها بي؟

ارجع إلى مجلسك



قال مالك: لما أجمعت التحويل من مجلس ربيعة جلست أنا وسليمان بن بلال في ناحية المسجد، فلما قام ربيعة عدل إلينا، فقال: يا مالك تلعب بنفسك وترقص، وصدق لك سليمان، بلغت أن تتخذ مجلساً لنفسك؟! ارجع إلى مجلسك.

إليّ إليّ



قال الدراوردي: دخلت - أي: في رؤيا منامية - مسجد النبي ﷺ فوافيته يخطب، إذ أقبل مالك، فلما أبصره النبي ﷺ قال: إليّ إليّ فأقبل حتى دنا منه، فسل ﷺ خاتمه من خنصره فوضعه في خنصر مالك^(١).

حسن جميل



قال ابن وهب: قيل لمالك: ما تقول في طلب العلم؟ قال: حسن جميل، ولكن انظر الذي يلزمك من حين تصبح إلى أن تمسي فالزمه.

(١) «السير» (ج ٨، ص ٧٨).

احذر أن أشهد عليك



قال معن: انصرف مالك يوماً فلحقه رجل يقال له: أبو الجويرية، متهم بالزندقة، فقال: اسمع مني، قال: احذر أن أشهد عليك، قال: والله ما أريد إلا الحق، فإن كان صواباً فقل به أو فتكلم، قال: فإن غلبتني، قال: اتبعني، قال: فإن غلبتك، قال: اتبعتك، قال: فإن جاء رجل فكلمنا فغلبنا؟ قال: اتبعناه، فقال مالك: يا هذا إن الله بعث محمداً ﷺ بدين واحد، وأراك تنتقل.

فلا يكاد يأتيه أحد



قال مالك: كنت آتي نافعاً وأنا غلام حديث السن، مع غلام لي، فينزل من درجته، فيقف معي ويحدثني، وكان يجلس بعد الصبح في المسجد فلا يكاد يأتيه أحد.

ولا يقال له: من أين قلت ذا؟



قال أبو مصعب: كانوا يزدحمون على باب مالك حتى يقتتلوا من الزحام، وكنا إذا كنا عنده لا يلتفت ذا إلى ذا، قائلون برؤوسهم هكذا، وكانت السلاطين تهابه، وكان يقول: لا، ونعم، ولا يقال له: من أين قلت ذا؟

يا مالك كثر شيبك



قال موسى بن داود: سمعت مالكا يقول: قدم علينا أبو جعفر المنصور سنة خمسين ومئة، فقال: يا مالك كثر شيبك! قلت: نعم يا أمير المؤمنين، من أتت عليه السنون كثر شيبه، قال: مالي أراك تعتمد على قول ابن عمر من بين



الصحابه؟ قلت: كان آخر من بقى عندنا من الصحابة، فاحتاج إليه الناس فسألوه فتمسكوا بقوله .

وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر



كتب عبد الله العمري إلى مالك يحضه على الانفراد والعمل فكتب إليه مالك: إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق فربُّ رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له الصوم، وآخر فتح له في الجهاد؛ فنشر العلم من أفضل الأعمال من البر، وقد رضيت بما فتح لي فيه، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر .

حسبنا الله ونعم الوكيل



قال مطرف: كان خاتم مالك الذي مات وهو في يده فسه حجر أسود نقشه سطران فيهما: حسبنا الله ونعم الوكيل، بكتاب جليل، وكان يلبسه في يساره وربما خرج علينا وهو في يمينه لا نشك أنه إذا توضأ حوله في يمينه، وسأله مطرف عن اختياره لما نقش فيه فقال: سمعت الله يقول: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران: ١٧٣)، قال مطرف: فحولت خاتمي كذلك، والله أعلم .

دار ابن مسعود ومكان عمر بن الخطاب



قال ابن المنذر: وكانت دار بن أنس التي كان ينزل بها بالمدينة دار عبد الله ابن مسعود، وكان مكانه في المسجد مكان عمر بن الخطاب وهو المكان الذي يوضع فيه فراش رسول الله ﷺ في المسجد إذا اعتكف .

في ذلك مرضاة لربك



وقالوا: كان مالك من أحسن الناس خلقاً مع أهله وولده، ويقول: في ذلك مرضاة لربك ومثراً في مالك ومنسأة في أجلك، وقد بلغني ذلك عن بعض أصحاب النبي ﷺ.

فانظروا عمن تأخذونه



قال ابن أويس: سمعت مالكا يقول: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه، لقد أدركت سبعين ممن يقول: قال رسول الله ﷺ عند هذه الأساطين وأشار إلى المسجد، فما أخذت عنهم شيء، وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان أميناً إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن.

يرحم الله مالكا



وجاء نعي مالك إلى حماد بن زيد، فبكى حتى جعل يمسح عينيه بخرقه، وقال: يرحم الله مالكا، لقد كان من الدين بمكان، لقد رأيت رأيه يتذاكر في مجلس أيوب، اللهم أحسن علينا الخلافة بعده.

أمير المؤمنين في الحديث



وقال علي بن المديني: ما أقدم على مالك أحداً في الحديث، ومالك أمير المؤمنين في الحديث، وقال لي: إني أحدثك عمن لم تر عينك، وفي رواية:

عيناى مثله، وقال: لولا أن يبعث الله في الإسلام في كل زمان مثل مالك وشعبة والأوزاعي لكانوا قد أدخلوا في حديث رسول الله ﷺ ما ليس فيه.

مالك والثوري



قال سعيد بن منصور: رأيت مالكا يطوف وخلفه سفيان الثوري يتعلم منه كما يتعلم الصبي من معلمه، كلما فعل مالك شيئا، فعله سفيان يقتدي به، وقال ابن عينة: ما نحن ومالك؟ إنما كنا نتبع آثار مالك، فإن أخذ عن الشيخ أخذنا عنه.

لا يضحى بالليل



قال بعضهم: كنت عند ابن عينة فسأل رجل عن الضحية بالليل فقال سفيان: لا بأس بها، فقلت له: ابن وهب روى عن مالك أنه لا يضحى بالليل، وقرأ: ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ (الحج: ٢٨)، فصاح ابن عينة بالرجل السائل وقال له: إن هذا أخبرني عن ابن وهب عن مالك أنه لا يضحى بالليل.

